المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعــة أم القـــرى
كليــة التربيــة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

بعض المبادئ التربوية المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق في الصحيحين

بحث مقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة

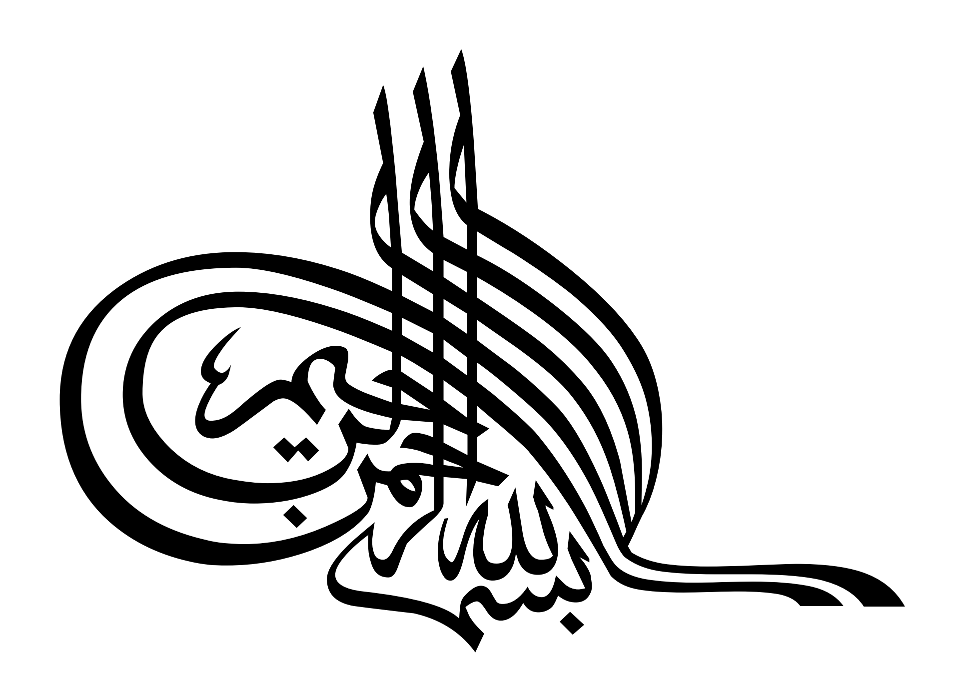
كلية التربية جامعة أم القرى

إشراف
أ.د/ آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين

اسم الطالبة
هيا صالح محسن الحذيفي الحربي
الرقم الجامعي:42280100

ماجستير

الفصل الدراسي الثاني 1428-1429هـ



خير الكلام

قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ (التوبة: 38).

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ (الأنعام: 162 – 163).

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ ﴾ (الرعد:22).

قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ ﴾ (الكهف: 48).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ ﴾ (الفرقان 65 – 66).

قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ ﴾ (الشعراء: 215).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ (الإنسان: 3).

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ (النساء: 114).

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ (فاطر: 28).

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤ ﴾ (البقرة : 34).

من الهدي النبوي:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه من ليف"(1)

قال المغيرة بن شعبة : كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم أو تتنفخ قدماه، فيقال له، فيقول : (أفلا أكون عبداً شكوراً)(2).

عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله ﷺ، صلى لنا يوماً الصلاة، ثم رقي المنبر فأشار بيده قِبل قبلة المسجد فقال : "قد أُريت الآن منذ صليت لكم الصلاة، الجنة والنار ممثلتين في قبل هذا الجدار، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر فلم أرَ كاليوم في الخير والشر "(3).

قال ﷺ: "من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به"(4).

عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء، وكانت لا تُسبقَ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين، وقالوا : سُبقت العضباء، فقال رسول الله ﷺ : (إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه) (5).

قال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(6).

قال عبد الله بن عمر : قال النبي ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)(7).

---

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (1424هـ)، صحيح البخاري، صـ 1154، كتاب الرقاق 6456، باب فضل الفقر، المكتبة العصرية، بيروت.

(2) البخاري، المرجع السابق، صـ1156، حيث رقم 6471، باب الصبر عن محارم الله.

(3) البخاري، المرجع السابق، صـ 115، حديث رقم 6468، باب القصد والمداومة على الأعمال.

(4) البخاري، المرجع السابق، صـ 1160، حديث رقم 6499، باب الرياء والسمعة.

(5) البخاري، المرجع السابق، صـ 1160، حديث رقم 6501، باب التواضع.

(6) البخاري، المرجع السابق، صـ 32، حديث رقم 71 ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين.

(7) البخاري، المرجع السابق، صـ 1158، حديث رقم 6484، باب الانتهاء عن المعاصي.

الإهـــــــداء

إلى كل أب وأم مشفقة

إلى كل معلم ومربٍّ يتلمس الصواب في تربيته

إلى كل باحث عن طريق النجاة في هذه الدنيا وفوز بجنان الرحمن

أهدي باكورة إنتاجي العلمي

الباحثة

الشكـروالتقــدير

الحمد لله الذي أضاء لنور وجهه السموات والأرض ، وصلح عليه حال الدنيا والآخرة، وله الشكر بما أنعم ويسر م ن كتابة هذا البحث ، والشكر موصولٌ إلى هذا الصرح التعليمي الحبيب إلى قلبي جامعة أم القرى.

وتعجز كلماتي عن شكر من كل ما ازددت عليها جهلاً وبعداً قابلته حلماً وقرباً ومن كان لتوجيهاتها أكبر الأثر في إخراج هذا البحث بهذه الحلة..

الأستاذة الدكتورة/ آمال حمزة المرزوقي أبو حسين جزاها الله خير الجزاء عن تخفيفها وطأة وشدة هذا البحث على نفسي ، فاللهمَّ خفف عنها وعني وطأة يوم العرض الأكبر أمامك إنك ولي ذلك والقادر عليه ... وأخص بشكري من كان له أثر في توجيهي وإصلاح أخطائي وإقالة عثرتي في تحكيم خطة هذا البحث كلاً من سعادة الدكتور / عبد اللطيف محمد بلطو، وسعادة الدكتور / عبد الناصر عطايا ، فاللهم جازهم بالحسنات إحساناً وبالسيئات عفواً وغفراناً. كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة كلاً من : أ.د/ محمد جميل بن علي خياط، أ.د./ عبد الله حريري.

كما أخص بشكري وعرفاني ودعا ئي والدي الحبيب الذي بذل كل غالٍ ونفيس من أجل مواصلة تعليمي أنا وأخواتي، ولم يثنِ عزمه مشيب رأس أو صعوبة عيش، اللهم اجعلنا له ستراً من النار، وسلماً يرقى به إلى الجنان .. شكري إلى من هزت سريري ورعت ، ورفعت كفيها ودعت: أمي الحبيبة شفاها الله وأسكنها جنان خلده .. شكري الوافر لمن لم يبخل علي بالمساعدة ما دياً ومعنوياً وكان الشاحذ لهمتي كلما وهن عزمي زوجي العزيز الأستاذ/ وائل البربري أنزله الله الجنان يعانق حورها ويسكن قصورها..

شكري إلى من انشغلت عنهم وهم في أمس الحاجة إليَّ، إلى أمل الغد، جود وجنى.

لا أنسى من شكري وتقديري إخواني وأخواتي الذين كانوا خير عونٍ لي أثناء كتابتي للبحث، واشكر الأستاذ/ حامد المالكي من مكتبة الليث الذي أمدني بالكثير من المراجع أشكر كل من وجهني بفكرة أو أرشدني إلى مرجع أو رصد لي دعوة بظهر الغيب ، فجزاهم الله خير الجزاء ..

الباحثــــــــــــة

مستخلص الدراسة

الاسم: هيا صالح محسن الحربي

العنوان: بعض المبادئ التربوية المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق في صحيح الإمام مسلم.

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى أن أجيب عن التسا ؤل الآتي : ما هي المبادئ المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم؟ ويكون ذلك عن طريق:-

1) إبراز بعض المبادئ المتضمنة في التربية الروحية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق.

2) إبراز بعض المبادئ المتضمنة في التربية الأخلاقية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق.

3) إبراز بعض المبادئ التربوية المتضمنة في التربية الدينية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق .

4) وضع المبادئ التربوية التي يمكن التوصل إليها والاستفادة منها في المجال التربوي من خلال أحاديث كتاب الزهد والرقائق.

ولقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الاستنباطي والوصفي.

احتوت الدراسة على أربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: يحتوي على الإطار العام للبحث، ويحوي المقدمة، موضوع البحث، تساؤلات البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، منهج البحث، وحدود البحث، ومصطلحات البحث، وأخيراً الدراسات السابقة.

الفصل الثاني : التربية الروحية ، ويحوي مقدمة تمهيدية وعدة مباحث هي : الزهد – الاشتغال بالعبادة والصبر – التذكير بالآخرة – التخويف بعذاب الأمم السابقة، الإخلاص في الأعمال.

الفصل الثالث : تحدث عن التربية الأخلاقية ويحوي مقدمة وعدة مباحث – التواضع – التحدث بنعم الله وشكرها – الصدقة – حفظ اللسان – الاهتمام بالعلم.

الفصل الرابع: تحدث عن التربية الدينية، واحتوى على مقدمة وعدة مباحث – فضل بناء المساجد – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإيمان بالجن والملائكة – التوكل على الله.

الخاتمة احتوت على النتائج والمقترحات، وكان من أهم النتائج:

– إن الزهد في ملذات الدنيا وبهرجها فيه تعويد للناشئة على ما يحسن به حالهم في الدنيا والآخرة.

– إن تحلي المربين بالأخلاق الفاضلة من تواضع وشكر لأنعم الله وصدقة وحفظ للسان واهتمام بالعلم له أكبر الأثر في نشر هذه الأخلاق في المجتمع الإسلامي.

– إن تربية الناشئة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر تربية للشخصية الإسلامية وبلورة وصقلاً لها.

ومن خلال معطيات البحث تقترح الباحثة:

– عمل موسوعة للمبادئ التربوية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– تخصيص يوم الخميس لاجتماع المعلمين والمربين المتقاعدين مع الطلبة في ورشة حوار ليستفيد الناشئة من خبرات السابقين سواء خبرات الحياة العلمية أو العملية.

– عقد دورات تدريبية تثقيفية للمقبلات على مرحلة الأمومة في تربية الأجيال القادمة.

Abstract

Name : Haya Saleh Mohsen Al-Harbi

Address some educational principals derived from the book “Asceticism & Sensitive Writings” and in the true Muslim to IMAM MUSLIM.

Objectives of the study: study aims to answer that learning to ask the following:

What principles derived from the book “Asceticism & Sensitive Writings” in front of a Muslim and be done through:

1. Highlighting some of the embedded principals in the spiritual education stated in Prophet Mohammed’s Sayings in “Asceticism & Sensitive Writings” book.
2. Highlighting some of the embedded principals in the ethical education mentioned in Prophet Mohammed’s Sayings in “Asceticism & Sensitive Writings” book.
3. Highlighting some of the embedded principals in the religious education stated in Prophet Mohammed’s Sayings in “Asceticism & Sensitive Writings” book.
4. Drawing the educational principals that can be concluded and befitted from in the educational field through Prophet Mohammed’s Sayings stated in “Asceticism & Sensitive Writings” book.

Curriculum study:

Spokesman study on the two approaches inductive and descriptive.

Chapters of my town consists of four chapters.

Chapter I:

Contains a general framework for search and contains contributions - the subject of research - research questions - the importance of research - Research objectives - - a search - and search terms - Finally previous studies

chapter II:

Education spiritual and contains introductory and several DETECTIVES are:

Asceticism and engage in cult - patience - recall Hereafter - Former United intimidation pains - sincerity in business.

Chapter III:

Talking about moral education and contains an introduction and several police then humility and talk and thanked God yes - friendship and keeping tongue and interest in science.

Chapter IV:

Spoke about religious education: It contains an introduction and several research Investigation - preferred building mosques - Propagation of Virtue and the Prevention of Vice - the creatures – Muslim insured his affairs.

Conclusion:

Containing findings and proposals One of the most important results:

- The Asceticism is the minimum dimension happiness and familiarize emerging note of what it improves their experience in the world and the Hereafter.
- That his jam morality of the virtuous act and thanked God and truth and keeping the tongue and interest in science and to disseminate Islamic soul Islamic society.
- The Educational emerging on the Propagation of Virtue and Promotion of Virtue and Prevention of Vice and personal Islamic Educational and developed and refined Through data in the search researcher suggests: encyclopedia of educational principles derived from the peer holy Prophet year cleared.
- Thursday day of the meeting of data and retired educators with the students and management of the dialogue for the benefit arising from the experiences the both in the life science or process.
- Holding training courses for educational Beach marriage - motherhood in the education of future generations.

قائمة المحتويات

الفصل الأول

الإطار العام للبحث

أولاً: المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسوله أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة.

أما بعــد:

إن المتأمل في حال المسلمين اليوم يرى ما آل إليه حالهم من اللهاث الدائم إلى تحقيق مطالبهم المعيشية فأصبحت حياتهم مادية بحته مما أدى إلى انحراف تربيتهم عن النهج الإسلامي الذي ارتسمه لهم خالقهم من أخذ الطيبات والبعد عن المحرمات، فأصبح شغلهم الشاغل هو البحث عن الشهوات والملذات الدنيوية والانغماس بها، والبعد عن المباحات في بعض الأحيان وامتداد شهواتهم إلى ما حرم الله سبحانه وتعالى، فاختلفت سمات المجتمع المسلم فأصبح شبيهاً بالمجتمعات المادية التي تنصب جميع اهتماماتهم في توفير ملذاتهم وشهواتهم الجسدية والجسدية فقط ونسيان الجانب الروحي مما يجعلهم يفقدون السعادة مع توفير جميع الإمكانات المادية، وهذا ما جعل كثير منهم يسقط في هوة الانحدار الأخلاقي التي لا سبيل إلى الخروج منها إلا بالرجوع إلى التربية الإسلامية التي تستقي منهجها من كتاب الله وسنة رسولهﷺ الذي قدم النموذج الروحي والجسدي المتكامل، وتبعه الصحابة في ذلك فقال تعالى واصفاً لهم : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ (المجادلة: 22).

لقد أصبح رسولنا ﷺ نبراساً وقدوة لأمته فقد قال الله تعالى مادحاً نبيه ﷺ :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب: 21).

كانت حياة رسول الله ﷺ مثالاً رائعاً في الاعتدال في جميع جوانب الحياة رافضاً التنطع والغلو في الدين وأعظم مثال على ذلك ما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أم ا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، واصلي وارقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) [1].

وما أصاب الأمة الإسلامية من الانغماس في الملذات وانسياقهم وراء الشهوات كان بسبب بعدهم عن مصادر التربية الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المحفوظ من الزلل فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: 9).

وقد عني السلف الصالح بسنة رسول الله ﷺ فأثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم وكان أهمها وأصحها كتاب البخاري ومسلم فقد اشتملا على أصح الأحاديث والآثار عن النبي ﷺ التي احتوت على كثير من المبادئ التربوية التي تقولب حياة الناشئة الذين يعتبرون عماد الأمة التي وصفت بالخيرية به قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (آل عمران: 110).

وكتاب الزهد والرقائق من صحيح الإمام مسلم يحتوي على عدد كبير من الأحاديث الصحيحة التي لم تتناول في دراسة علمية تربوية من قبل لذا أرجو أن يكون لبنة صالحة في إثراء المكتبة الإسلامية وشجرة يانعة يستظل بها المربون السائرون في طريق التقدم والرقي.

---

(1) البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل (1424هـ)، صحيح البخاري، كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، حديث رقم 5063، مراجعة وضبط وفهرسة محمد علي قطب وهشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت.

موضوع البحث

قرر القرآن الكريم بوجوب التفكر والاعتبار من سرعة فناء الدنيا وزينتها وانقضائها، فقال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: 24).

قال ابن كثير: (أي نبين الحجج والأدلة فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سريعاً مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وتفلتها عنهم فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها) [1].

ولقد عنيت السنة بذكر كثير من الأحاديث النبوية التي توضح ضآلة الدنيا بالنسبة للآخرة فإن الرسول ﷺ مر بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كنفتيه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله واخذ بأذنه، ثم قال : (أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال : (أتحبون أنه لكم؟) قالوا: والله! والله لو كان حياً، كان عيباً فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال : (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) [2].

لقد ابتعد أكثر هذه الأمة عن التربية الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة، التي من شأنها أن توصل جميع المجتمعات إلى بر الأمان، وكما استطاع أعداء هذه الأمة أن ينخروا في جسدها بوصولهم إلى شبابها ورجالها ونسائها وأطفالها وهم لا يستطيعون ردهم أو حتى الوقوف أمامهم، كأني بأمتنا الإسلامية وقد صدق عليها قول نبينا الكريم ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: أو من قلة

---

(1) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (1425هـ)، تفسير القرآن العظيم، جـ2، ص 901، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(2)النيسابوري، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، جـ4، دار الحديث القاهرة، 1412هـ، ص 2272.

نحن يومئذ؟ قال : (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن).

فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) (1).

لذا كان لا بد من صحوة إسلامية كبيرة تعود بنا إلى ماضي أمتنا المج يد، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولما كان (كتاب الزهد والرقائق من صحيح الإمام مسلم مشتملاً على تسعة عشر باباً وخمسة وسبعين حديثاً وتقع ترتيبه في الثالث والخمسين بين الكتب، وقد سبق قبل الباب الأول ذكر سبعة وثلاثين حديثاً لم يعنون لها بباب وأيضاً كتاب الرقائق الواقع بعد كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار وقبل كتاب التوبة، وقد أحتوى على ثمانية أحاديث، فيها من الأوامر والنواهي مما حدا بالباحثة إلى التوجه إلى دراسة هذا الكتاب لاستخراج المبادئ التربوية وتحليلها والاستفادة منها.

تساؤلات البحث

وإني من خلال هذا البحث في هذا الكتاب أود أن أجيب عن التساؤل الآتي :

ما هي المبادئ المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم ؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1 -ما هي المبادئ المتضمنة في التربية الروحيةِ من أحاديث كتاب الزهد والرقائق؟

2 -ما هي المبادئ المتضمنة في التربية الأخلاقية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق؟

3 -ما هي المبادئ المتضمنة في التربية الدينية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق؟

4 -ما النتائج والمقترحات التي يمكن التوصل إليها والاستفادة منها في المجال التربوي من خلال أحاديث كتاب الزهد والرقائق؟

---

(1) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، راجعة محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 4، (د،ت)، ص 111، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

أهداف البحث

يهدف البحث من خلال الدراسة إلى:

1 -ذكر المبادئ المتضمنة في التربية الروحية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق في حياة المسلم.

2 -ذكر المبادئ المتضمنة في التربية الأخلاقية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق في حياة المسلم.

3 -ذكر المبادئ المتضمنة التربية الدينية من أحاديث كتاب الزهد والرقائق في حياة المسلم.

4 -وضع المبادئ التربوية التي يمكننا الاستفادة منها في وقتنا الحاضر.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث من خلال:

1 -ضرورة العودة إلى المصادر الأساسية للتربية الإسلامية لاستنباط الأسس العامة التي تقوم عليها تربية الجيل المسلم.

2 -ضرورة استخدام أحاديث كتاب الزهد والرقائق كمجال البحث في النظرة النبوية للمفاهيم التربوية.

3 -اشتمال الأحاديث النبوية المُضَمَّنَة في كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم على أمور عظيمة يجب أن يطلع عليها الجيل الإسلامي الجديد.

4 -ابتعاد مفهوم الزهد في التربية الإسلامية عن التطبيق في الحياة العملية والركون إلى المادية البحتة.

منهج البحث

تعددت مناهج العلماء المسلمين في البحث، وتباينت بين المنهج التاريخي والأسلوب الوصفي والمنهج التجريبي وقد تميز المسلمون بالمنهج الاستنباطي والاستقرائي، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن لكل بحث طريقته ومنهجه، وسوف يعتمد في هذا البحث على المنهج الاستنباطي الذي يعرف بأنه : "الطريقة التي يقوم فيها

الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة ".[1] يقوم على استخراج ما يحويه الحديث من مبادئ حديثية وفوائد كثيرة، بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي يساعد "الباحث على الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعدنا في تطوير الواقع الذي ندرسه "[2] وقد انتهجت الطريقة التالية:

1 - دراسة أحاديث كتاب الزهد والرقائق من صحيح مسلم.

2 - تصنيف الأحاديث إلى مبادئ روحية وأخلاقية ودينية وتدوين الأحاديث التي يتضمنها المبدأ في بداية الحديث عنه وذلك لشمول المبادئ على جميع أحاديث كتاب الزهد والرقائق مع استبعاد الأحاديث المكرره والتنبيه على ما زاد في الرواية من حديث إلى آخر في نفس المعنى للحديث.

3 - تحليل وشرح المبدأ وما يتضمنه من أحاديث وذلك بالرجوع إلى الشروح وأقوال العلماء والمعالجة اللغوية للمفردات اللغوية الصعبة.

4 - يقوم البحث على التوثيق بالهامش وذلك لسهولة الرجوع إلى المراجع بسهولة ودون عناء.

حدود البحث

تدور حدود البحث حول أحاديث (كتاب الزهد والرقائق) من (صحيح مسلم) للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. ويقع ترتيبه في الثالث والخمسين بين الكتب. يحتوي على تسعة عشر باباً وخمسة وسبعين حديثاً . المبدوء بباب (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين) والمختوم بباب في حديث الهجرة ويقال له: حديث الرحل. وقد سبق قبل الباب الأول ذكر سبعة وثلاثين حديثاً لم يُعنون لها بباب.

---

(1) فوده، حلمي محمد، عبد الرحمن، صالح عبد الله (1408هـ) المرشد في كتابة البحوث التربوية. مكتبة المنارة، ط5، صـ 12-16، مكة المكرمة.

(2) عبيدات، ذوقان، وآخرون (2000) البحث العلمي مفهومه ، أدواته، أساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، صـ248.

وأيضاً كتاب الرقائق الواقع بعد كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار وقبل كتاب التوبة.وقد احتوى على ثمانيةِ أحاديث.

مصطلحات البحث

المبادئ في اللغة:

(المبدأ) مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها (ج) مبادئ و(مبادئ) العلم، أو الدين، أو الخلق، أو الدستور، أو القانون، قواعده الأساسية التي يقوم عليها[1].

المبادئ اصطلاحاً:

هي المبادئ المستقاة من الكتاب والسنة وهي من هذا المنطلق تكوين فكري اجتهادي، أو أنها مجموع آراء المفكرين المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى وقتنا الحاضر. وهي بلا شك تمثل وجهة نظر بشرية معرضة للتعديل وإن كانت هذه الآراء مستمدة أساساً من القرآن والسنة الشريفة[2].

الرقائق في اللغة:

ومعناها اللغوي مأخوذ من (الرق).

وهو ضد الغليظ كالرقيق .. و (ج) رقائق .. والرقة بالكسر الرحمة، وترقق له رق له قلبه[3].

الرقائق اصطلاحاً:

الرقاق والرقائق جمع رقيقة، وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن في كل منها ما يحدث في القلب رقة[4].

---

(1) مجمع اللغة العربية (1973هــ) المعجم الوجيز، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

(2) خياط، محمد جميل (1407هــ)، النظرية التربوية في الإسلام دراسة تحليلية، ص 280، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.

(3) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1403هــ)، القاموس المحيط، ج3، ص 237، دار الفكر، بيروت.

(4) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (د ت) فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، جــ11، ص 229، دار الفكر، بيروت.

الزهد لغة:

الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء والزهيد الشيء القليل وهو مُزِهْدٌ : قليل المال[1].

الزهد اصطلاحاً:

ذكر الجرجاني أن الزهد هو بغض الدنيا والإعراض عنها[2].

إذن نخلص إلى تعريف عام حول المبادئ التربوية المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم في أنها اجتهاد الباحث وسعه وطاقته في استخراج المادة الأساسية المرادة من الحديث، سواء كانت في الأخلاق أو الآداب أو الرقائق أو في الجوانب الروحية أو الدينية، وما إلى ذلك من الأمور المعينة على التذكير بالآخرة وترقيق القلب من أجل إعداد العدة لها، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

الدراسات السابقة

بعد اطلاعي على قوائم الرسائل الجامعية لم أ جد دراسة سابقة تناولت كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم سوى الشروح الحديثة التي تتناول كتاب مسلم بأكمله وكذلك بعض الأبحاث التي تناولت بعض الجوانب في كتاب الإمام مسلم.

الدراسة الأولى:

بعنوان: كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق لعبد الله بن المبارك المرزوي، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي.

فهرس أبواب كتاب الزهد لابن المبارك برواية المروزي ابتدأه بـــ (باب التحضيض على طاعة الله عزل وجل، وختمه (آخر الزهد وقسمه تحت أحد عشر جزء في 564 صفحة احتوت على 1627 حديث وأورد المؤلف ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائد أعلى ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد احتوى على 436 حديثاً وأثراً وقد احتوى الكتاب على المرفوعات والمراسيل وآثار الصحابة والمقاطيع.

---

(1) زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (د ت) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـــ 3، ص 30، دار الفكر، عمان.

(2) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1423)، التعريفات ص 97 تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

منهج الدراسة

استخدم المحقق منهج المتقدمين من العلماء من تحقيق وتخريج من ذكر مواقع الآيات وأرقامها وتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها والترجمة لبعض رجال الأسانيد وشرح بعض ألفاظ الروايات وتفسير غريبها وترتيب أسماء رواة الحديث على حروف الهجاء.

ولم يورد المحقق أي نتائج أو توصيات في الدراسة.

نستفيد من هذه الدراسة في بحثنا بالرجوع إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي قد نحتاج إليه والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

ويختلف بحثنا عن الدراسة من حيث المنهج ومن حيث معالجة الموضوع فالدراسة تعالج الموضوع من ناحية تحقيق شرعي للكتاب.

أما هذا البحث فهو يعالج موضوع المبادئ التربوية من كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم.

الدراسة الثانية:

بعنوان: مكانة الزهد في التربية الإسلامية.

إعداد الطالب: صالح بن محمود بن عبد الرحمن بابور.

إشراف: د./ عبد اللطيف بالطو 1416هـ، جامعة أم القرى، كلية التربية، ماجستير.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الاستنباطي والمنهج التاريخي.

أهداف الدراسة:

1- معرفة حقيقة الزهد وتحديد مفهومه وأبعاده عن طريق الاستناد إلى الأدلة التفصيلية.
2- إيضاح العلاقة بين الزهد والتربية الإسلامية.
3- إبراز النماذج التربوية لسلفنا الصالح.
4- التعرف على التطبيقات التربوية التي تقوم بها التربية الإسلامية في غرس مفهوم الزهد.

أهم نتائج البحث التي قد توصل إليها الباحث هي:

1 -أن الزهد هو إخراج حب الدنيا وشهواتها وملذاتها من القلب.

2 -أو الزهد سلوك مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

3 -أن الزهد أمر مطلوب في التربية ولغرسه لا بد من تضافر الجهود.

نستفيد من هذه الدراسة في بحثنا هذا من عدة جوانب:

- تطرق الباحث إلى أن الزهد وحقيقته وبحثنا هذا يحتاج إلى الاستعانة بهذه الدراسة في هذا الجانب.
- تختلف الدراسة عن بحثنا هذا بأن الدراسة تتكلم عن الزهد ومكانته في التربية الإسلامية بشكل عام أما بحثنا هذا فيتكلم عن المبادئ التي يمكن استنباطه من كتاب الزهد للإمام مسلم فقط.

الدراسة الثالثة:

بعنوان: المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب البر والصلة والآداب) من صحيح الإمام مسلم.

إعداد الطالب: عائد بن محمد حمدان الحارثي.

إشراف: د./ عثمان آمين نوري، 1423هـ كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة .

منهج الدراسة: اعتمد الباحث المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى الأمور التالية:

1 -إبراز مكانة الإمام مسلم وصحيحه من السنة.

2 -استنباط أهم المبادئ التربوية التي تضمنتها أحاديث كتاب البر والصلة والآداب من صحيح الإمام مسلم.

3 -إيضاح المبادئ التربوية المستنبطة وبيان كيفية الاستفادة منها تربوياً في تربية الفرد والأسرة والمجتمع.

أهم نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث في دراسته:

1- اشتمل صحيح الإمام مسلم على مجموعة من أحكام الدين وآدابه للدفاع عن السنة وتيسيراً على المسلمين لذا فهو من أعظم مصادر السنة النبوية.
2- أن بر الولدين والإحسان إليهما في التربية الإسلامية يعد الح لقة الأولى والمهمة في سلسلة تكوين المجتمع وتماسكه.
3- الصدق خلق فطري ويمكن أن يكتسبه الفرد إن فقده بعوامل متعددة.

علاقته بالبحث الحالية:

اهتمت الدراسة بالمبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البر والصلة والآداب، من صحيح الإمام مسلم.

أما بحثنا الحالي فهو عن المبادئ التربوية المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق من صحيح الإمام مسلم.

الدراسة الرابعة:

بعنوان: خلق التواضع في التربية الإسلامية.

إعداد الطالب: عائش عطية البشري.

إشراف الدكتور: محمود عطا محمد علي مسيل الباز، 1420هـ.

قسم التربية الإسلامية والمقارنة – ماجستير.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي والمنهج التاريخي.

تهدف الدراسة:

1- إبراز مكانة خلق التواضع في التربية الإسلامية.
2- توضيح مفهوم خلق التواضع في السنة.
3- توضيح كيفية تطبيق هذا الخلق عند الخلفاء الراشدين.
4- بيان كيفية تطبيق هذا الخلق عند بعض العلماء المسلمين.
5- ذكر بعض التطبيقات التربوية الناتجة عن دراسة خلق التواضع والاستفادة منها في الأسرة والمدرسة.

أهم نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث:

1 -تضافرت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على بيان أهمية خلق التواضع للفرد المسلم ووجوب التحلي به والتخلي عن رذيلة الكبر.

2 -كان للخلفاء الراشدين دور عظيم في التحلي بآداب الإسلام وخاصة خلق التواضع، فكانوا قدوة حسنة لمن بعدهم إلى يوم الدين.

3 -ظهر التواضع واضحاً جلياً في سير علماء الإسلام.

4 -المعلم هو أساس نجاح العملية التربوية، فإذا كان متحلياً بالآداب الفاضلة فإن المؤسسات التربوية ستجني أفضل الثمار.

5 -كلما تحسنت العلاقة بين المعلم والطالب تحسنت النتائج وتحققت الأهداف، وكلما ساءت العلاقة بينهما ساءت النتائج وفشلت الأهداف.

علاقة الدراسة بالبحث الحالي:

إن الدراسة تحدثت عن مبدأ التواضع بشكل مستفيض الذي جاء في البحث الحالي عن أنه عبارة عن أحد المبادئ.

الدراسة الخامسة:

بعنوان: مكانة الصبر في التربية الإرادية من منظور إسلامي.

إعداد الطالبة: عائشة بنت صالح بن عبد العزيز العتيبي.

إشراف: د./ حامد سالم الحربي، 1420هـ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي.

أهداف الدراسة:

1 - معرفة حقيقة كل من الصبر والإرادة في التربية الإسلامية وتحديد مفهومة وأبعاده كما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقوال السلف الصالح وكما ورد في كتب التراث الإسلامي.

2 -إيضاح العلاقة بين الصبر والتربية الإرادية من المنظور الإسلامي.

3 -إبراز النماذج التربوية الإسلامية الصابرة لربها عبر العصور التاريخية الإسلامية وكيفية تطبيقهم للصبر في جميع شؤون حياتهم وأخذ العبرة منهم

4 -بيان تطبيقات التربية الإرادية على الصبر من المنظور الإسلامي.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

- إن الصبر دليل على قوة الشخصية ومظهر من مظاهر الرشد واكتمال العقل والثمرة الطبيعية الصلبة لقوة الإيمان.
- إن الإنسان الصابر القوي التربية الإرادية يتقيد بشرع الله سبحانه وتعالى.
- إن الصبر وقوة التربية الإرادية تدفعان بالإنسان المؤمن للعمل الطيب وتمنعه من العمل الخبيث.
- إن تشويه مفهوم الصبر والتربية الإرادية عند بعض الناس أثمر ضعف التدين وفساد الخلق وضياع الثروة وغلبة الجهل مما يتطلب تكوين الشخصية الصابرة القوية.
- إن الصبر يعمل على تكوين النفس الأدبية والتربية الإرادية القوية والع زيمة الصادقة والأخلاق العالية.

علاقة الدراسة البحث الحالي:

إن الدراسة تحدثت عن الصبر بشكل موسع بينما احتوى كتاب الزهد للإمام مسلم على أحاديث كثيرة تحث على الصبر وتجعل المسلم يتمثل بها.

وأسأل الله العلي العظيم أن يجعل بحثي هذا المعنون له (بعض المبادئ التربوية المستنبطة من كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم) أن يجعله لبنه صالحة في كيان الصحوة الإسلامية المنتظرة.

المبحث الأول

الـــزهـــــد

بسم الله المنان، خالق جميع الأكوان، جاعل الناس على طرائق شتى فمنهم مستكثرٌ من النعم متكبرٌ عليها لا يشكر حقها، ومتقلل منها هاربٌ من زخرفها، زاهدٌ ورعٌ فيها، يعلم أنه سوف يسأل عنها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ (التكاثر: 8).

ولكل في هذه الدنيا طريقة وأسلوبٌ حتى لا يتخبط الإنسان عندما يسلك طريقه ، والإنسان على نفسه بصيرٌ فإذا أراد أن يخ تار ما ينفعه في دينه ودنياه فعليه سلوك طريق الزاهدين، وهو ما سوف نعرفه

صور من زهد النبيﷺ وصحابته من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته. فمر بجدي أسك[1] ميت، فتناوله فأخذ بأذنه . ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟) قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء. وما نصنع به؟ قال: (أتحبون أنه لكم؟) قالوا: والله! لو كان حياً، كان عيباً فيه، لأنه أسك. فكيف وهو ميت؟ فقال: (فوالله! للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم) [2].

الحديث الثاني:

عن عروة بن الزبير ، أن المسور بن مخرمة أخبره ؛ أن عمرو بن عوف ، وهو حليف بني عامر بن لؤي ، وكان شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح، إلى البحرين يأتي بجزيتها . وكان رسول الله صلى الله

([1]) جدي أسك: هو صغير الأذنين.

([2]) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ابو الحسين (1412هت) صحيح مسلم. جــ4، ص 2272، حديث رقم 2957، راجعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

عليه وسلم هو صالح أهل البحرين. وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين . فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة بمال من البحرين فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف . فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم . ثم قال: "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟" فقالوا: أجل يا رسول الله قال: "فأبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله ما الفقر، أخشى عليكم . ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها، كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم". وجاء في بعض الروايات "وتلهيكم كما ألهتهم"[1].

الحديث الثالث:

حدثنا عمرو بن سواد العامري . أخبرنا عبد الله بن وهب . أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثة؛ أن يزيد بن رباح (هو أبو فراس، مولى عبد الله بن عمرو بن العاص) حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: (إذا فتحت عليكم فارس والروم ، أي قوم أنتم؟" قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا. الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك. ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض)[2].

الحديث الرابع:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار، قبل أن يهلكوا . فكان أول من لقينا أبا اليسر، صاحب رسول الله ﷺ . ومعه غلام له معه ضمامة من

---

(1) صحيح مسلم، مرجع سابق، صـــ 2274، رقم الحديث 2961 .

(2) صحيح مسلم، المرجع السابق، صـــ 2274، الحديث رقم (2962).

صحف[1] وعلى أبي اليسر بردة[2]، ومعافري[3]. وعلى غلامه بردة ومعافري. فقال له أبي: يا عم! إني أرى في وجهك سفعة من غضب [4]. قال: أجل. كان لي على فلان بن فلان الحرامي – قال القاضي نسبة إلى بني حرام – مال. فأتيت أهله فسلمت فقلت: ثم هو؟ قالوا: لا. فخرج عليّ ابن له جفر [5]. فقلت له: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أمي . فقلت: اخرج إليّ. فقد علمت أين أنت. فخرج فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال: أنا، والله! أحدثك. ثم لا أكذبك. خشيت، والله أن أحدثك فأكذبك وأن أعدك فأخلفك وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنت، والله ! معسراً. قال قلت: الله! قال: الله! قلت: الله! قال: الله. قلت: الله! قال : الله. قال فأتى بصحيفته فمحاها بيده. فقال: إن وجدت قضاء فاقضني وإلا أنت في حل. فأشهد بصر عيني هاتين ووضع إصبعيه على عينيه وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسول الله ﷺ وهو يقول : "من أنظر معسراً ، أو وضع عنه، أظله الله في ظله".

قال فقلت له: يا عم لو أنك أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك وأخذت معافريه وأعطيته بردتك فكانت عليك حلة وعليه حلة. فمسح رأسي وقال: اللهم بارك فيه، يا ابن أخي بصر عيني هاتين وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا وأشار إلى مناط قلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: (أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون) وكان أن أعطيته من متاع الدنيا أهون علي من أن يأخذ من حسناتي يوم القيامة[6].

([1]) ضمامة من الصحف: أي رزمة يضم بعضها إلى بعض.

([2]) البردة: شملة مخططة وقيل كساء مربع فيه حفر يلبسه الأعرب.

([3]) المعافري: نوع من الثياب بقرية تسمى معافر وقيل هي نسبة على قبيلة نزلت تلك القرية والميم فيها زائدة.

([4]) سفعة: أي علامة وتغير.

([5]) الجفر: هو الذي قارب البلوغ وقيل هو من قوى على الأكل.

([6]) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (3006) جـ4، صـ 2301 – 2302.

الحديث الخامس:

عن أبي مطرف قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ "ألهاكم التكاثر" فقال: (يقول ابن آدم: مالي مالي، قال وهل لك، يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟)(1).

الحديث السادس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (أللهم أجعل رزق آل محمد قوتاً) (2).

التعليق على الحديث الأول:

إن مدرستنا ومُعلمنا لأبجديات الزهد هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث إنه لم يترك فرصة سانحة لتعليم صحابته إلا واقتنصها، ومن ذلك هذا الحديث الذي يوضح لنا ذلك ويجسده لنا أيما تجسيد من خلال ضرب المثل الآتي "لتقريب المعنى إلى الأفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية"(3). عندما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم :" تهافت الناس على الدنيا ومغانمها ومرابحها"(4)، استصغرها وهونها في أعين الصحابة.

إن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع تعليمه لصحابته وتدريبه إياهم على الزهد إلا أنه يشفق ويخاف عليهم أن يحصل لهم مثل ما حصل للأمم السابقة وهذا ما يوضحه في الحديث الثاني:

لقد "أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه أنه وإن كان لهم في الشفقة عليهم كالأب لكن حاله في أمر المال يخالف حال الوالد، وأنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخشاه الوالد، ولكن يخشى عليهم من الغنى الذي هو مطلوب الوالد لولده، مشيراً بذلك إلى أن

---

(1) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق ص 2273، حديث رقم 2962.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق ص 2281، حديث رقم 1055.

(3) النحلاوي، عبد الرحمن (1417هـ) ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط2، دار الفكر، دمشق، صـ249.

(4) النحلاوي، المرجع السابق، صـ249.

مضرة الفقر دون مضرة الغنى، لأن مضرة الفقر دنيوية غالباً، ومضرة الغنى دينية غالباً، ولأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس إلى طلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك"[1].

لقد علم النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بهذا الحديث السابق بأن المال وإن كان هو مطلوب الإنسان الأول إلا أن التقلل منه أفضل لعلمه صلى الله عليه وسلم بالحالة النفسية لكل شخص، وإنه هو صلى الله عليه وسلم كان يدعو دائماً بقوله : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً)، وفي لفظ آخر: (كفافاً)[2]. وقيل في تفسيرها: هو كفايتهم من غير إسراف. وقيل: هو سد الرمق.

فطبق الزهد على نفسه أولاً حتى يكون قدوة لصحابته، مع أن النفس الإنسانية أشد ما تكون حباً للمال . قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف: 46) فقدم سبحانه المال على البنين.

لا نقول: بأن الإنسان لا يعمل في هذه الدنيا، وإنما يعمل ويكد ويؤدي حق الله فيما تحصل عليه، ويسترجع، إذا أصابه هم أو غم أو خسارة، لأنه أمر مقدر على الإنسان، وقد ذكر الله ذلك في القرآن، حيث قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ

([1]) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (د،ت) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ11، دار الفكر ، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، ص 245.

([2]) النيسابوري، مرجع سابق، صحيح مسلم، صـ 2281، حديث رقم (1055).

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد:22، 23).

أما في الحديث الرابع الذي يظهر لي والله أعلم، من خلال حديث أبي اليسر:

1- أنه كسا غلامه بردة ومعافرياً حسناً وكانت على أبي اليسر بردة ومعافري ليست مثل الذي على غلامه، أي أنها أقل جودة من الأولى. وهذا يقويه أن الحلة هي "الثوب الجديد الذي يحل من طيه.

2- أو أنه قصد أن يكون على أحدهما بردتان وعلى الآخر معافريان، ويقويه قول أهل اللغة: إن الحلة لا تكون إلا ثوبين، سميت بذلك لأن أحدهما يحل على الآخر[1].

ومن حسن تعامل أبي اليسر أنه لم يظهر ضجر من عبادة بن الوليد، بل دعا له بأن يبارك الله فيه، وأظهر له سبب فعله ذلــك، وهو أن النبي ﷺ قال: (أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون). وفي حديث لرسول الله ﷺ: "إن إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم").[2]

لقد زهد أبو اليسر في الملبس الحسن خوفاً على شيء أعظم من ذلك خوفاً على حسناته، يحق لي أن أسميه أنه من أبناء الآخرة، فهو ينطبق عليه قول علي رضي الله عنه "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل"[3].

([1]) النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (د ت)، شرح صحيح مسلم، راجعه خليل الميس، صـــ 345، ج 18، دار القلم، بيروت.

([2]) البخاري، مرجع سابق، صـــ348، حديث رقم 2545.

([3]) العسقلاني، مرجع سابق، جـ11، صـــ235.

لم يأمر النبي ﷺ هنا صحابته بزهد في ملذات الدنيا وإنما كان يتمثل ذلك في أمور حياته حيث فلم يرد لفظ الزه د في القرآن الكريم صريحاً إلا مرة واحدة، وهي في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (يوسف: 20).

جاء في تفسير ابن كثير أي: "باعه إخوته بثمن قليل . قال مجاهد وعكرمة والبخس : هو النقص، كما قال تعالى (فلا يخاف بخساً ولا رهقا)، أي اعتاض عنه إخوته بثمن دون قليل ، ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أي ليس لهم فيه رغبة، بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا[1].

وقد ذكر سيد قطب في ظلال القرآن السبب في زهدهم فيه : "لأنهم يريدون التخلص من تهمة استرقاقه وبيعه"[2]. وسوف نتعرف على الزهد من خلال تعريفه.

الزهد لغة

زهد: الزهد والزهادة في الدنيا، ولا يقال الزُّهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها : ضد الرغبة. زَهِدَ وزَهَدَ، وهي أعلى، يزهد فيها زُهْداً وزَهَداً، بالفتح عن سيبويه، وزهادة، فهو زاهد من قوم زُهَّاد[3].

وجاء في مقاييس اللغة أن "(زهد) الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء. والزهيد: الشيء القليل. وهو مُزهِدٌ: قليل المال. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الناس مؤمن مزهد) هو المُقِلُ ، يقال منه: أزْهَد إزهاداً[4].

الزهد اصطلاحاً:

([1]) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، (1425هـ). تفسير القرآن العظيم، صـ 950، الجزء 2. ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

([2]) قطب، سيد (1400 هـ) في ظلال القرآن ، ط9، مج4 ، ج 12-18، دار الشروق، بيروت.

([3]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (1997م)، لسان العرب، مج 3 ، ط1، دار صادر بيروت.

([4]) ابن زكريا ، أبو الحسين أحمد بن فارس (1399هـ) معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد بن هارون جـ3، صـ3، دار الفكر، بيروت.

ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين أن الزهد: "عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ماهو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن الشيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه لم يسمّ زا هداً، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً"[1].

وقال ابن تيمية في الزهد المشروع هو : "ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله"[2].

وذكر ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين اثنين وعشرين قولاً في الزهد منها قوله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحم الله روحه- يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع : ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها[3].

وترى الباحثة أن الزهد هو ترك الرغبة في الدنيا وملذاتها عقلاً وقلباً عن قناع ة وطمعاً فيما عند الله من النعيم الدائم الخالي من الأكدار، وما يعرض في الدنيا من المنغصات، وعلماً بحقارة الدنيا بالنسبة للآخرة.

بحيث إنه يعزف عن ملذات الدنيا وشهواتها ليس عزوف كسل وتخاذل وركون إلى الدعة والراحة أو أن يُحرمها على نفسه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأعراف:32).

بل إنه يعمل ويسعى في طلب رزقه وما يقيم حياته في هذه الدنيا حتى يرتفع بنفسه عن مذلة المسألة، وحتى يقوم على شؤون أهل بيته ويستطيع أن يكون لبنة

([1]) الغزالي، أبو حامد محمد ابن محمد، (د ت) إحياء علوم الدين، ج4 ، صـــ230، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

([2]) ابن تيمية الحراني، تقي الدين أحمد (1418هــ) مجموعة الفتاوى، المجلد العاشر، مكتبة العبيكان، الرياض، صـــ 16.

([3]) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (1375هــ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الجزء الثالث، صـــ10، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

صالحة في بناء الكيان الإسلامي، ولأنه بالعمل تحصل الدرجات، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة 105).

وليس معنى الزهد المشروع أن من كتب الله له الغنى والسلطان أن ينخلع منها ويتركها لأن هذا الفعل لا يقبله العقل السليم، وإنما على العكس من ذلك أن يستفيد منها بالإنفاق في سبيل الله وإقامة حقوق الله فيها، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ويعتبر المال من أسباب القوة لصاحبه، وقد انقسم المتكلمون في الزهد إلى مشارب عديدة، ويدل ذلك على سعة علمهم وطول باعهم في الزهد، و من ذلك ما قاله الغزالي في الزهد.

أقسام الزهد عند الغزالي

فالزهد بحسب تفاوت قوته انقسم إلى ثلاث درجات:

"**الدرجة الأولى** : وهي السفلى منها: أن يزهد في الدنيا وهولها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهدها ويكفها ، وهذا يسمى المتزهد.

الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لأجل درهمين.

الدرجة الثالثة: وهي العليا: أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده"[1].

وقسم أيضاً الإمام الغزالي الزهد بالنسبة إلى المرغوب فيه إلى ثلاث درجات:

" **الدرجة السفلى:** أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر، وهذا هو زهد الخائفين.

الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين .

([1]) الغزالي، مرجع سابق، صــ241.

الدرجة الثالثة: وهي العليا: أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى ، لأن من طلب غير الله فقد عبده"[1].

وقد كثرت الأقاويل في أقسام الزهد المرغوب عنه ومن الصعب الإحاطة بها.

أقسام الزهد عند ابن قيم الجوزية

وقد أوجز وأحسن ابن قيم الجوزية في تقسيمه حيث قال: "الزهد أقسام:

1 -زهد في الحرام وهو فرض عين.

2 -وزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً.

3 -وزهد في الفضول. وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. وزهد في الناس. وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله.

4 -وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ"[2].

المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث الواردة في الزهد

يعتبر ضرب الأمثلة والتشبيهات من أهم أساليب التعليم في تربية النشء، حيث إن تشبيه الأشياء المعنوية التي لا يستطيع الإدراك الوصول إليها إلا إذا ارتبطت بالأشياء الحسية وذلك للوصول إلى مستوى إدراك عقولهم وذلك مما ندب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمل كما في حديث الجدي الآسك.

بدأ يلاحظ على كثير من المسلمين وأبنائهم انغماسهم في ملذات الدنيا، و ذلك بسبب رغبتهم الجامحة في تحقيق شهواتهم، وظنهم بأن ذلك سوف يكون

([1]) الغزالي، المرجع السابق، صـــ 240 – 241.

([2]) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (1406هــ) الفوائد، ط7 ، دار النفائس، بيروت، صـــ153.

مصدراً للسعادة والراحة، فيجب تنبيههم إلى ذلك، وتوضيح أن الدنيا تعتبر كسجن، فقد قال ﷺ (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[1].

يجب على المربي أن يبين للناشئة ما ستؤول إليه حالهم فيستكثرون من الادخار ليوم لا يكون فيه درهم ولا دينار . مع الأخذ بعين الاعتبار من هو مسئول عنهم أمام الله فلا يضيعهم، فقد قال سعد بن أبي وقاص : مرضت بمكة مرضاً فأشفيت منه على الموت، فأتاني النبي ﷺ يعودني فقلت: يا رسول الله، إن لي مالاً كثيراً، وليس يرثني إلا ابنتي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: (لا). قال: قلت: فالشطر؟ قال: (لا). قلت: الثلث؟ قال (الثلث كبير، إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك)[2].

يجب تعويد الأبناء على التقلل من الدنيا والزهد فيها وتهوينها في أعينهم، ومن ذلك مثلاً عدم شراء الكثير من الطعام والألعاب، وترك التكلف في الملبس والمشرب والمأكل، لا أقول: بأن يلبس المرقع من الثياب، ويأكل الخشن من الطعام، بل يحسنها، ولكن بدون تكلف، وأن يدربوا على أن العزة ليست في الملبس الحسن وإنما في الإسلام وقوته، ويظهر ذلك جلياً في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم الشام: "أتى ببرذون فركبه فهزه فكرهه فنزل عنه وركب بعيره فعرضت مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقه فأخذهما بيده وخاض الماء وهو ممسك بعيره بخطامه، أو قال : بزمامه، فقال له أبو عبيدة ابن الجراح: لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ! قال: فصك في صدره ثم قال: أوه، يمد بها صوته! لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأقل الناس، وأحقر الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق كتاب الزهد والرقائق، ج4، ص 2272.

([2]) البخاري، كتاب الفرائض،باب ميراث البنات، صـــ1199.

بغيره يذلكم الله"[1].

ينبغي تعويد فلذات أكبادنا على عدم الفخر والزهو على الناس، فقد بدأ يلاحظ في الآونة الأخيرة ظهور هذا الجانب بصورة مخيفة خاصة في الأنساب، مما يبعد أبناءنا عن المسار الذي رسمه لهم رسولنا الكريم، وأيضاً فيما أنعم الله عليهم به من الرزق، فقد قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ﴾ (الحديد :23). فقد قال ابن كثير في تفسيرها: "أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، لأن ذلك ليس بسعيكم ولا بكدكم، وإنما هو قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفتخرون به على الناس"[2].

يجب تربية النشء على القناعة بما رزقهم الله به، ولا يلتفتون إلى ما يوجد عند غيرهم، فقد قال الشافعي في أمرها:

وما هي إلا جيفة مستحيلة　　　عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها　　　وإن تجتذبها نازعتك كلابها[3]

وإن خير ما ينشأ عليه أبناؤنا وبناتنا هو اهتمامهم باستثمار أوقاتهم فيما ينفع في الدار الآخرة، وذلك بإحياء ليلهم في الصلاة والذكر، ونهارهم بالعمل النافع، وهذا هو مدخلنا إلى المبحث التالي وهو الاشتغال بالعبادة.

([1]) المروزي، عبد الله بن المبارك (د ت)، كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق، صـ207، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العملية، بيروت.

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، جـ4، صـ 1847.

([3]) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (1424هـ) ديوان الإمام الشافعي. ط1، جمع وتعليق د/ أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، صـ 40.

المبحث الثاني

الاشتغال بالعبادة

إذا أراد الإنسان المسلم أن يسلك طريق الزهد وأن يمسك بمشعل الزاهدين فعليه أن يروض نفسه على زهدهم، وأن يجتهد غاية الاجتهاد حتى يصل إلى مرتبته العالية، ولا يكون ذلك إلا بعقد العزم وعلو الهمة في أداء حقوق الله سبحانه وتعالى من عبادات وقربات حتى يصل إلى المنزلة العظيمة، وجاء في الحديث عن أبي ذر قال : قال رسول الله: (يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة)[1].

فعليه أن يشد من إزاره، ويتجلد في أداء العبادات والاشتغال بها، فمن ذلك ما كان عليه الصحابة.

صور من اشتغال النبيﷺ وصحابته بالعبادة من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

حدثني عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله. فجاءه ابنه عمر. فلما رآه سعد قال: أعوذ الله من شهر هذا الراكب. فنزل. فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال : أسكت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي[2])[3].

([1]) النووي، شرح صحيح مسلم، جـ17، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن، به رقم الحديث (2677) صـ 15-16.

([2]) الخفي: هو الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه.

([3]) مسلم، مرجع سابق، حيث رقم 2965، ص 2277.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: (يقول العبد: مالي. مالي . إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى. أو لبس فأبلى. أو أعطى فاقتنى. وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس)[1].

الحديث الثالث:

عن عبد الله بن أبي بكر . قال: سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ: (يتبع الميت ثلاثة. فيرجع اثنان ويبقى واحد. يتبعه أهله وماله وعمله. فيرجع أهله، وماله. ويبقى عمله) [2].

والأعمال الصالحة منجاة للإنسان في الدنيا والآخرة، ففي الآخرة تواترت الآيات والأحاديث بذلك، أما في الدنيا فقد جاء من أخبارها قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.

الحديث الرابع:

عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ: أنه قال: (بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فا دعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم . فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني، وإنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئتهما بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق حديث رقم 2959، ص 2273.

([2]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم 2960، ص 2273.

وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء . ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت، حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه. فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة. ففرج لهم.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه فرقة فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاءها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني حقي . قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعاءها فخذها، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي. فقلت إني لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها . فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي. ففرج الله ما بقي.

وفي رواية أخرى: زادوا في حديثهم وخرجوا يمشون)[1] .

في الحديث الأول:

حصل هذا الأمر زمن فتنة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وقد اعتزل الفتنة كثير من الصحابة، وكان منهم سعد بن أبي وقاص، وذلك مما جاء به الإمام الغزالي في الإحياء حيث قال: "وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق، فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق"[2]

فكان سعد بن أبي وقاص من الذين يرون أن العزلة خير من الاختلاط . "حيث إنه أقام بقصره في العقيق حتى وافته المنية عام 55هـ"[3]

([1]) مسلم، كتاب الرقاق، ص 2099-2101.

([2]) الغزالي، مرجع سابق، ج2، صـ 243.

([3]) العسلي، بسام (1412هـ) مشاهير قادة الإسلام سعد بن أبي وقاص. دار النفائس بيروت، لبنان، صـ83.

في هذا الحديث الشريف الذي احتج به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على ابنه بأن صاحب "هذه الأوصاف الثلاثة له مكانة عظيمة عند الله؛ لأنه أضفى عليه محبته، حيث أول صفة منها: العبد التقي الذي يصون نفسه عن الوقوع في محارم الله بعمل الطاعات والبعد عن المعاصي ومراقبة أعماله في السر والعلن، وفي ذلك تكون مجاهدة النفس. "قال بعض الأئمة: جهاد النفس أربع مراتب: حملها على تعلم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لا يعلم، ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجحد نعمه"[1] ، وثاني تلك الصفات هي الغنى والمقصود بذلك غنى النفس؛ لأنه ورد في البخاري "عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)[2] .

وهذا هو الغنى الذي وهبه الله لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ (الضحى: 8) قال ابن كثير في تفسيره: "أي كنت فقيراً" ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه"[3]. يشير لفظ الحديث إلى ما تضافرت معه الأحاديث والآية الكريمة إلى أن المقصود هو غنى النفس، ولا يكون ذلك إلا باستغنائها عن الناس وافتقارها إلى الله تعالى وعلمها بأنه هو المنعم المتفضل عليها، فتتذلل له وحده، وينقطع أمله عمن سواه، وذلك يورثه عزة نفسه، ووضحه القرطبي بقوله: "إنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله، ولا

([1]) العسقلاني، مرجع سابق، جـ11، صـ338.

([2]) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق ، كتاب الرقائق رقم الحديث 6446.

([3]) ابن كثير، مرجع سابق ، جـ4، صـ2043.

يحرص على الازدياد لغير حاجة، بل يرضى بما قسم الله له، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي"[1].

وليس هنالك غضاضة في أن يجتمع غنى النفس وغنى المال، فإنهما إذا اجتمعا كان مدعاة لقيام الشخص بما يوجبه الله عليه من أوامر، ولنا في صحابة رسول الله ﷺ خير مثال على ذلك، فمنهم عثمان بن عفان كان غنياً يساعد في إعداد جيوش المسلمين، وكان عزيزاً في نفسه. فعن أبي هريرة قال: اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين بيع الخلق، حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة"[2]. وكذلك عبد الرحمن بن عوف حيث إنه تصدق على عهد الرسول ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة[3].

وتأتي الصفة الثالثة تتويجاً لما قبلها ومكملة لهما وهو الخفي "الذي يتخفى بأعماله عن أعين الناس ومراقبتهم إياه"[4]. ولا يكون هذا التخفي عن الناس والابتعاد عن أعينهم إلا عن طريق اعتزالهم والابتعاد عنهم، حيث إنهم بذلك يتم لهم مرادهم بإخلاص أعمالهم لله وحده ويتبرؤون من الرياء الذي يفسد الأعمال، ولأن الابتعاد عن الناس وعدم مخالطتهم مدعاة لصفاء الذهن واشتغال المرء بأمور نفسه وإصلاح عيوبه؛ ولأن مخالطة الناس لها آدابها، فإن "من عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة"[5].

([1]) العسقلاني، فتح الباري ، مرجع سابق، صـــ272و صـــ 273.

([2]) الأصبهاني، أبو نعيم (د ت)، حلية الأولياء، عثمان بن عفان، ط4 جـــ1 صـــ 58، دار الكتاب العربي.

([3]) المرجع السابق جـــ1، صـــ 99.

([4]) نواره، عبد الله (1426هـــ) الصحيح من الزهد والرقائق . ط1، صـــ94، دار الروضة مصر.

([5]) العسقلاني، مرجع سابق، صـــ 333، جـــ 11.

وكان السلف يتوخون في عزلتهم أدق الأمور حتى وإن كانت أموراً قلبية، فمن ذلك "أن القشيري قال في الرسالة: طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس، فإن الأول نتيجة استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره وهذه صفة المتكبر"[1]

وفي هذا الحديث الثاني الثالث إشارة إلى ما يدخر ويدخل مع الإنسان في قبره ألا وهو عمله الصالح وهو الذي يؤنسه، "حيث قال رجل لسهل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ قال: الله. قال فليصحبه الآن"[2]

الاشتغال بالعبادة لغة واصطلاحاً

فقد جاء في معنى الاشتغال اللغوي أنه "العارض الذي يذهل الإنسان "[3]، ووجدت له معان بالنسبة إلى ما يضاف إليه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (سورة الفتح: 11)، فانصرفت إلى معنى المنع أي "منعنا من الخروج عدم وجود من يخلفنا في أموالنا وأهلينا: نسائنا وذرارينا"[4]

وكذلك وردت كلمة شغل في سورة يس حكاية عن أهل الجنة فقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وجاء معناها في المعجم المفسر بأنهم مشغولون عن أهل النار بملذات الجنة ونعيمها[5].

وجاء في لسان العرب عن ابن الأعرابي قال: وعندي أنه على النسب، لأنه لا

([1]) القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (1425هـ)، الرسالة القشيرية باب الخلوة والعزلة، صـ 108، تحقيق: أحمد عناية، محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت.

([2]) الغزالي، مرجع سابق ، صـ 243، جـ2.

([3]) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب (1423هـ) مفردات ألفاظ القرآن، صـ457، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق –.

([4]) الكيلاني ، وحيد سليمان (1419هـ) المعجم المفسر لألفاظ القرآن العظيم، ط1، صـ 274)، دار الخريجي، الرياض.

([5]) الكيلاني، المرجع السابق ، صـ 274.

فعل له يجيء عليه فَعِلٌ[1].

أما العبادة: فإن معناها اللغوي مشتق من مادة "(ع ب د) العَبْدُ ضد الحر وجمعه عَبيدُ، وأعْبُدُ، وعُبْدَان بالضم وعِبْدان بالكسر، وعِبَّدان بالكسر وتشديد الدال، وعبِدَّ أي بالكسر وتشديد الدال، وعُبُد بضمتين، ومنه قرأ بعضهم (وعُبُد الطاغوت) بالإضافة، وقرأ بعضهم (وعَبدُ الطاغوت) أي خدم الطاغوت، وتقول: عَبْدُ، بين العُبُودة والعُبُودِية، وأصل العُبُودية الخضوع والذل، والتعبيد التذليل، يقال: طريق معبد، والتعبيد أيضاً الاستعباد وهو اتخاذ الشخص عبداً، وفي الحديث: (رجل اعتبد) أو كذا الأعْبَادُ والتَّعبدُ يقال: تعبَّدُه أي اتخذه عبداً والعبادة الطاعة والتعبد التنسك"[2].

وخالف صاحب القاموس المحيط ما ذهب إليه الرازي في أن العبد ينصرف إلى "الإنسان حراً كان أو رقيقاً"[3].

العبادة اصطلاحاً

وجاء في المعنى الاصطلاحي للعبادة بأنها هي فعل المكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه، وجاء إيضاح معنى العبودية بأنها "الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود".[4]

وترى الباحثة أنه هو الميل والمداومة والانكباب على طاعة الله، والتلذذ بالخضوع والخنوع له سبحانه وتعالى، وصرف كل فعل صالح له، مما يحبه ويرضاه من الأمور التي كلف بها عباده من إيمانٍ به وتصديق بكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الصلاة والصيام والجهاد والحج والذكر والاستغفار، وجعل ذلك ديدنه جل وقته إن لم يكن كله، ولا يعارض ذلك ما يقوم به المسلم من عمل

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج11، صـــ 356.

([2]) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1415هـ) . مختار الصحاح . جـ1، صـــ172، مكتبة لبنان، بيروت، المحقق محمود خاطر.

([3]) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، جـ1، صـــ 378.

([4]) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1423هـ) التعريفات،، صـــ 121، نقحه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

لكي يقيم حاله ويصلح شأنه، بل ينوي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى، وأرى جماع ما سبق في قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (البقرة: 177)

وقد كانت المداومة على طاعة الله وعبادته ديدن رسولنا الكريم، فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يطيقون ، قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله؛ إن الله قد غفر لكَ ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يُعرف في وجهه، ثم يقول: (أنا أتقاكم، وأعلمكم بالله أنا) [1].

أنواع العبادة

وقد فصل الراغب كلامه في العبادة بقول بليغ إذ قال: إن "العبادة ضربان:

1 - عبادة بالتسخير، وهي للإنسان والحيوان والجمادات، وقد جاء في أن السجود أصله التطامن وهو الانحناء والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذ لل لله وعبادته، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ (الرعد:15).

2 - عبادة بالاختيار، وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة: 21). وذكر الراغب أن العبد لديه يقال على أربعة أضرب.

[1] البخاري، مرجع سابق ، كتاب الإيمان باب قول النبي (أنا أعلمكم بالله) صـــ 21.

الأول: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه، نحو (العبد بالعبد) (البقرة: 178).

الثاني: عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلا لله، إياه قصد بقوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (مريم: 93).

والثالث: عبد بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان:

1. عبد لله مخلص، وهو المقصود بقوله: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ (ص: 41).
2. وعبد الدنيا وأعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم)" [1]. ولم أقف على الرابع لعله قصد بالرابع ما انقسم تحت الثالث.

ومن خلال الآيات الواردة في العبادة ينصرف معناها إلى ما يأتي:

1- "العبادة بمعنى التوحيد، قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: 23-24).

2- العبادة بمعنى الطاعة "[2] قال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾) (غافر آية 60).

([1]) الأصفهاني، مرجع سابق، صـــ396- مادة سجد ، صـــ542 مادة عبد.

([2]) ابن حميد، صالح بن عبد الله، ملوح، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (1418هـــ)، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، صـــ 2743 ، جـــ6.ط1، دار الوسيلة، المملكة العربية السعودية.

المعاني التي تنصرف إليها العبادة في القرآن الكريم حال إضافتها: [1]

1 - " العبادة بمعنى الطاعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172).

2 - العبادة توحي بالتشريف وتحمل الثواب العظيم قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾) (الأعراف: 128).

3 - العبادة في سياق التحذير قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (الإسراء: 53).

4 - العبادة تقتضي الاتعاظ والخشية : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ (فاطر: 45).

5 - العبادة تؤدي إلى الحسرة على من لم يتعظ قال تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (يس: 29- 30).

6 - العبادة تعني البشارة بالحفظ من الشيطان: وقال تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص: 82-83).

([1]) باختصار من موسوعة نضرة النعيم، من ص 2754 إلى ص 2769، جـ6.

المبادئ التربوية المستنبطة من مبدأ الاشتغال بالعبادة

الاهتمام باختيار أصدقاء لأبنائنا ممن يتوسم فيه الخير والصلاح والالتزام بالدين الإسلامي، وبعد ذلك مراقبتهم عن بعد فيما يعملون، وتوجيههم إذا صدر منهم خطأ ما، وهو بذلك يتمثل قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (التوبة: 105).

يجب أن نحيي في أبنائنا جانب الاهتمام بالأوقات وبإعماره ا فيما ينفعهم من تفكر في ملكوت الله ومخلوقاته، فإن ذلك يورث الأنس بجنابه تعالى، وتحفيزه على ذلك بشراء ساعة حتى يرتب أوقاته، فإن النفس إذا لم تشغلها بطاعة الله شغلتك بمعصيته.

التركيز في تربية الأبناء على جانب المراقبة لله تعالى في السر والعلن، وذلك يدعو الناشئة إلى التبصر في أمور دينه حتى لا تكون عبادته وأفعاله خاطئة، فإما أن يثقف نفسه بالقراءة والاطلاع أو بسؤال غيره.

يجب تعويد الأبناء منذ نعومة أظفارهم على أداء العبادات، فإن ذلك سيورثهم أداء الأعمال بسهولة، مما يجعلهم يحبونها، خاصة إذا اقترن معها مكافأة لا يشترط أن تكون ماديه، بل إذا كانت معنوية مثل الثناء عليه أمام الكبار أو غير ذلك، فقد بدأ يلاحظ على بعض أبنائنا تفريطهم في أداء العبادات.

يجب أن نجعل لأبنائنا يوماً مخصصاً للمكتبة حتى يطلعوا على ما يحويه التراث الإسلامي من القصص النبوي، كما في قصة أصحاب الغ ار وما حصل لهم من كرامات، وما كان من نصح نبي الله لقمان لابنه حيث قال : "يا بني أتق الله ولا تر الناس أنك تخشاه ليكرموك وقلبك فاجراً) [1].

([1]) المروزي، عبد الله بن المبارك (د،ت) كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق، صـــ63، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

يجب تربية أبناءنا على التحلي بالآداب مع الوالدين، كما جاء الحديث في قصة أصحاب الغار. والحرص على استفادتهم، وفي ذلك سد للفجوة التي أصبحت واضحة بين السلف الصالح وبين تربية بعض أبنائنا في وقتنا الحالي من انتشار لعقوق الوالدين والزنا وأكل لأموال الناس بالباطل.

محاولة وضع أبنائنا على النهج الإسلامي الصحيح، وذلك من خلال تدريبهم على أن تكون أفعالهم وأعمالهم على نهج محمدٍ ﷺ وخالصة لوجه الله تعالى، فإنه يورثهم ذلك سلامة الاعتقاد. فلا يخفى على أحد ما يحيكه أعداء الإسلام لتشويه صورة الإسلام في عقول أبنائنا.

ينبغي للمربي التدرج أثناء تعليم الأبناء على العبادة منذ نعومة أظفارهم حتى لا يصابوا بالملل واحترام أوقات لعبهم ولهوهم.

يجب تعليم أبنائنا آداب الدعاء ومنها:

1. حضور القلب وخشوعه وانكساره، وأن يتحرى الإنسان أوقات الإجابة.
2. استقبال القبلة، وأن يكون على طهارة، وأن يرفع يديه إلى الله، ويبدأ بحمد لله والثناء عليه، ثم الثناء على الرسول ﷺ، ثم يقدم بين يدي حاجته من التوبة والاستغفار، ثم يدخل على الله يلح عليه ويقدم بين يدي دعائه صدقة، ولاسيما إن دعا باسم الله الأعظم "[1]، عن بريدة الأسلمي عن أبيه قال : سمع النبي ﷺ رجل يدعو وهو يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . قال: فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى"[2]

([1]) ابن قيم الجوزيه، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر (د.ت) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، صـــ11، بتصرف يسير، (د،ط)، (د، ن).

([2]) الترمذي، أبو عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (د،ت) سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح، الحديث (3471)، كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ ، صـــ 154، جـــ 9، علق عليه عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا .

– ولابد على الآباء والأمهات من تنبيه أبنائهم إلى أن "الدعاء مأمور به موعود عليه بالإجابة، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: 60)

وأن يعلم الداعي أن سبب صرف الإجابة أن يعوضه خيراً منها:

إما أن يصرف عنه بذلك سوءاً أو يدخرها له في الآخرة أو يغفر له بها ذنباً[1].

والتركيز على جانب التعلق بالله في الدعاء، فقد بدا واضحاً تعلق بعض فئات المجتمع المسلم بغير الله سبحانه وتعالى، وذلك يتمثل في كثرة المتصلين على بعض القنوات المعروفة بالسحر والشعوذة والدجل، مما يدل على بعدهم عن الطريق الصحيح لسؤال الله سبحانه وتعالى.

في تمام العبودية لله تعالى وصرف جميع أنواع العبادة له والمواظبة على أداء العبادات إجهاد وتعب للنفس البشرية فلابد أن يصحبها بالصبر وهو مبحثنا القادم.

([1]) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن (د ت) أسباب المغفرة، صـــ 31، مكتبة التراث الإسلامي، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، القاهرة.

المبحث الثالث

الصبـــــر

إذا أردنا التحدث عن الصبر بشكل عام فإننا لا نستطيع ذلك؛ لأن موضوعه كبير جداً ومهم، ولأهميته فقد ورد في القرآن الكريم في م واضع عديدة وكثيرة جداً، فسنتطرق للأحاديث.

صور من صبر النبيﷺ وصاحبته من كتاب الزهد للإمام مسلم

وكان للنبي ﷺ وصحابته الكرام الحظ الوافر من الصبر لما نالهم من المشقة والشدة والتعب منذ بداية عهد النبوة إلى أن انتشر الدين الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، ومن ذلك ما كابده رسول الله ﷺ وصبر عليه هو وأهل بيته على الجوع:

الحديث الأول:

ما رواه " عروة عن عائشة أنها كانت تقول: والله يا بن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان التمر والماء؛ إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[1]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه"[2].

الحديث الثاني:

فهذه عائشة زوج رسول الله ﷺ تذكر بأنه ما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين"[3] أي غداء وعشاء.

الحديث الثالث:

وكان الصحابة رضي الله عنهم يمشون على خطا نبيهم، فيروي أبو

([1]) منائح: هي الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجل يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع لبنها .

([2]) النيسابوري، صحيح مسلم مرجع سابق حديث رقم (2972) صـــ 2283.

([3]) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق، رقم (2974).

عبد الرحمن الحبلي أنه جاء "ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد إنا والله ما نقدر على شيء، لا نفقة ولا دابة ولا متاع. فقال لهم: ما شئتم إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً) قالوا: "فإنا نصبر لا نسأل شيئاً"[1].

الحديث الرابع:

كان صبرهم لا حدود له سواءً وهم مقيمون أو في الحروب يسطرون في التاريخ أروع الأمثلة، فها هو جابر بن عبد الله يروي لنا أنهم ساروا "مع رسول الله ﷺ وكان قوت كل رجل منا في كل يوم تمرة، فكان يمصها ثم يصرها في ثوبه، وكنا نختبط بقسينا [2] ونأكل حتى قرحت أشداقنا[3]، فأقسم فاتته[4] رجل منا يوماً فانطلقنا به ننعشه[5] فشهدنا أنه لم يعطها فأعطيها، فقام فأخذها"[6].

الحديث الخامس:

أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل، فقال: ألنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأولي إليها؟ فقال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه. قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك[7].

الحديث السادس:

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق ، حديث رقم (2979).صـــ2285.

([2]) نختبط بقسينا: أي نضرب الشجر ليتحات ورقه فنأكله.

([3]) حتى تقرحت أشداقنا: أي تجرحت من خشونة الورق وحرارته.

([4]) فأقسم أخطئها: معناه أنه كان للتمر قاسم يقسمه بينهم، فيعطي كل إنسان تمرة كل يوم، فقسم في بعض الأيام ونسى إنسان فلم يعطه تمرته، وظن أنه أعطاه، فتنازعا في ذلك وشهدنا له أنه لم يعطها، فأعطيها بعد الشهادة .

([5]) ننعشه: أي نرفعه ونقيمه من شدة الضعف والجهد.

([6]) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم (3011)، صـــ2306.

([7]) النيسابوري، المرجع السابق، حديث رقم 2979، ص 2285.

عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر. فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه. فكان في طريقه إذا سلك [1] راهبٌ[2]. فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه. فإذا أتى الساحر ضربه. فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها. ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بُني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي . وكان الغلام يبرئ الأكمه [3] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك كان قد عمى . فأتاه بهدايا كثيرة. فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك.فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي.قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام . فجيء بالغلام. فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب. فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى فدعا بالمئشار. فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المئشار

([1]) السلوك: هو النفاذ في الطريق.

([2]) راهب: هو المتعبد في صومعته.

([3]) الأكمه: هو من يولد أعمى.

في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه . ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل. فقال اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك. فقال: له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1]، فتوسطوا به البحر؛ فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به. فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك.

قال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله . فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام؛ ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد . وصلبه على جذع. ثم أخذ سهماً من كنانته؛ ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال : باسم الله، رب الغلام. ثم رماه فوقع السهم في صدغه[2]؛ فوضع يده في صدغه في م وضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام. آمنا برب الغلام. آمنا برب الغلام . فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله! نزل بك حذرك . قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت؛ وأضرم النيران؛ وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه[3] فيها. أو قيل له: اقتحم ففعلوا. حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها؛ فقال لها الغلام : يا أمه !

([1]) القرقور: السفينة العظيمة.

([2]) صدغه: ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين وقيل هو ما بين العين والأذن.

([3]) فأحموه: أرموه.

اصبري. فإنك على الحق)[1]

في الحديث الأول:

وهذا يدل على أنهم كانوا في بداية انتقالهم إلى المدينة "، وفي حديث عائشة " لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر والماء"[2].

"والحق أن الكثير منهم كان في حال ضيق قبل الهجرة، حيث كانوا بمكة، ثم لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك، فواساهم الأنصار بالمنازل والمنائح"[3].

وتواترت الأحاديث على أن النبي ﷺ لم يشبع ثلاث ليال متتابعات من خبز البر، إذ إنه إذا شبع من خبز البر لم يشبع من التمر، وما كان لهم شيء يجعلونه إداماً سوى الزيت.

لقد مضت على نبي هذه الأمة الأيام الطوال وهو يبيت طاوياً من الجوع لا يجد ما يملأ به بطنه حتى وإن كان من التمر الرديء، يجلس محمد وآل بيته في جوع لا يسد جوعتهم إلا ما يأتيهم مما أفاء الله على رسوله، أو أن يهدي إليه جيرانه بعض ألبان دوابهم، أو أن يهدي إليهم اللحيم وهو تصغير للحم للدلالة على قلته وصغر حجمه، هذا حال نبي هذه الأمة ولو كان يريد عرض الدنيا لأخذ منها حظاً وافراً.

فهذا نبينا محمد ﷺ يقول لعائشة رضي الله عنها: (والله لو شئت أجرى الله معي جبال الذهب والفضة)[4] إنه زاهدٌ في الدنيا ولا يريد منها سوى ما يكفي حاجته، ها هو يدعو الله تعالى بقوله (اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً)[5]

قال ابن بطال: "فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثاراً لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك، وقال القرطبي: معنى الحديث أنه طلب الكفاف، فإن القوت ما يقوت

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم حديث رقم (3005) صـــ2299 – 2300 – 2301.

([2]) العسقلاني، صحيح البخاري مع الفتح صـــ 495، كتاب المغازي.

([3]) العسقلاني، صحيح البخاري مع الفتح، مرجع سابق، ج 11، صـــ 292.

([4]) العسقلاني، فتح الباري، صـــ 292، جـــ11.

([5]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم 1055، صـــ2281

البدن ويكف عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً، والله أعلم"[1].

هذه حال نبي هذه الأمة وصحابته هذه صور من صبره ﷺ وأزواجه، يخافون أن تعجل لهم حسناتهم، وكانوا يذكرون بعضهم بعضاً بعد وفاة النبي ﷺ بما كانوا عليه، فهذا النعمان بن بشير يذكر أصحابه بما كان الرسول ﷺ يلاقي فيقول لهم: "ألستم في طعام وشراب ما شئتم، لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه "، وزاد في حديث آخر: "وما ترضون دون ألوان التمر والزبد"[2].

نحن الآن في نعم لا يعلم قدرها إلا الله؛ فاللهم لكَ الحمد على هذه النعم، ربنا لا تجعلنا من الذين عجلت لهم حسناتهم . في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأحقاف: 19-20).

قد علموا أن الله لن يضيعهم إذا هاجروا من مكة إلى المدينة نصرة لله ولدينه ولرسوله فجاءهم وعد الحق ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النساء:100).

صبرهم عظيم لا يطيقه إلا من باع نفسه رخيصة لله سبحانه وتعالى، فما كان جزاؤهم إلا الجنة بما صبروا، قال تعالى : ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (المؤمنون: 111)، فازوا بما في الجنة من متاع دائم لا يزول . كانوا

([1]) العسقلاني، فتح الباري ، مرجع سابق، صـــ 293، جـــ11.

([2]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم 2977- 34-35، صـــ2284.

متقللين من نعيم هذه الدنيا، حتى من كان يريد منهم أعطيات، كانوا يسألونه حتى يتحروا بذلك أن يضعوا الأرزاق التي تأتيهم في مكانها الصحيح ولأهلها المستحقين.

فإن هنالك الكثير من الصحابة لا بيوت لهم كأهل الصفة، وكان عددهم سبعين رجلاً، "كانوا أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال "، فكان ﷺ يخصهم بما يأتيه من الصدقة ويشركهم فيما يأتيه من الهدية"[1].

فلما رأى الصحابي تحول حاله من الفقر إلى الغنى فذكر بأن له خادماً لعله تملكه من بعض الغزوات فأجابه ابن عمرو بن العاص بأنه من الملوك الذين يملكون رقاب الناس)[2].

هكذا هم صحابة رسول الله ﷺ، لا يدربون أنفسهم على التقلل من الحياة الدنيا وزينتها وبهرجها ولكن يدربون بعضهم على تحمل الفقر وتغيير نظرتهم إلى أنفسهم وتحويل المحن التي يمرون بها إلى منح ربانية. هكذا يربونهم ابتداءً من صبر رسول الله ﷺ وما لاقاه في سبيل الدعوة إلى الله، عبوراً بصبره هو وصحابته على الجوع وخشونة العيش، ضاربين أروع الأمثلة في التاريخ، وقد سبقهم إلى ذلك ما أخبر ب ه رسول الله ﷺ عن قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام في صبرهم على الدعوة في سبيل الله.

الصبر لغة

فأصل الصبر الحبس سمي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح[3].

وجاء في القاموس المحيط: "صبره عنه يصبره حبسه، وصبر الإنسان وغيره على القتل أن يحبس ويرمى حتى يموت، وقد قتله صبراً وصبره، عليه يمين الصبر هي التي

([1]) العسقلاني، فتح الباري ، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، صـــ 286.

([2]) نواره، مرجع سابق، صـــ 87 بتصرف.

([3]) الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (1399هـــ) النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، المحقق: أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، جـــ3، صـــ7.

تلزم ويجبر عليها صاحبها"[1].

واتفق صاحب مختار الصحاح على نفس المعنى فذكر بأنه حبس النفس عن الجزع[2].

ولأهمية الصبر جاء في أسماء الله تعالى، فمن أسماء الله تعالى الصبور تعالى وتقدس، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنيه المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم ابن سيده"[3].

وعرفه الأصفهاني بأنه "الإمساك في ضيق. يقال: صَبرتُ الدابة حبستها بلا علف، وصبرت فلانا خلفته خلفة لا خروج له منها، والصبرُ : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع"[4].

ونقل ابن الجوزي قول أحدهم: "الصبر ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة"[5].

وهذا التعريف وجدته عند الإمام الغزالي، ولكن لم يذكر فيه كلمتي (العقل والهوى) وذكر صاحب كتاب التعريفات بأنه : "ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"[6].

وترى الباحثة أن الصبر من الصفات التي تميز النفس البشرية عن غيرها من مخلوقات الله بتحليها بالصبر وهو منع النفس ووقفها عند أوامر الله ونواهيه، وثباتها أمام أقدار الله تعالى وما يتبع هذه الأقدار من إجهاد النفس وإرهاق لها في جميع مواقف الحياة التي تمر بها الحالة الإنسانية من سرور وحزن وجوع وشبع وفقر وغنى وحياة

([1]) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، جـ1، صـ541.

([2]) الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق صـ 149.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق ، جـ4، صـ437.

([4]) الأصفهاني ، مرجع سابق، صـ 474، مادة صبر.

([5]) ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر (1414هـ) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، صـ 33.

([6]) الجرجاني: التعريفات، مرجع سابق، صـ110.

وموت؛ لأن ذلك يزيد المسلم إيماناً بالله، فإذا لم يتحلَّ الإنسان بالصبر فإن ذلك يخرجه من دائرة الإيمان إلى الضجر من قضاء الله تعالى الذي يفضي إلى الكفر والعياذ بالله.

ولأهمية الصبر فقد أكثر الله من ذكره في كتابه العزيز حيث وصل تعداده بالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (103) مرة[1]، بينما ذكر المقدسي صاحب كتاب مختصر منهاج القاصدين نقلاً عن الإحياء أنه ورد في تسعين موضعاً"[2] والراجح لدي أنها (103) مرة.

ويُعتبر الصبر من منازل الدين العظيمة إذ لا ينفك موقفٌ من مواقف الحياة إلا ويحتوي على الصبر ويتعلق به من جهة، حتى وإن تغير مسماه، فمن ذلك:

أنه" إذا كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب صدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده المذل"[3].

ومن خلال ذكر القرآن للصبر جاء بمعاني عدة منها:

1. الصبر بمعنى "حبس النفس عن الشهوات وحبسها على المكروه وقصره ا على الطاعات ". قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (البقرة: 45)
2. الصبر في "الجرأة" قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (البقرة: 175).

---

(1) عبد الباقي ، محمد فؤاد (1422هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث ، القاهرة، صـ 491 -492-493.

(2) المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه (1425هـ)، مختصر منهاج القاصدين، صـ 266، تحقيق محسن عبد الغني البلتاجي، مؤسسة أم القرى، المنصورة، مصر.

(3) الأصفهاني، مرجع سابق، صـ 474.

3. الصبر بمعنى "الانتظار" قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: 87).

4. بمعنى الصبر الذي "لا يخالطه جزع ولا تذمر "[1] ، ولا شكوى فيه لغير الله تعالى، وهو الرضا بالمصيبة والتسليم . قال تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (يوسف: 18).

أنواع الصبر

وكما أن للصبر معانٍ مختلفة بحسب متعلقه فإن له أنواعاً باعتبار محله، فالصبر ضربان: ضرب بدني، وضرب نفساني، وكل منهما نوعان :اختياري، واضطراري ، فهذه أربعة أقسام:

"الأول: البدني الاختياري.. كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة ". وهذا النوع مختص بالمكلفين كل على حسب حاله.

"الثاني: البدني الاضطراري.. كالصبر على ألم الضرب، والمرض، والجراحات والبرد والحر" يشترك في هذا النوع البشر والبهائم .

" الثالث: النفساني الاختياري.. كصبر النفس عن فعل مالا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً" وهذا النوع مختص بالمكلفين.

الرابع: النفساني الاضطراري، كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه " يشترك في هذا النوع الإنسان والحيوان"[2].

([1]) الكيلاني، مرجع سابق، معاني الكلمات نقلاً عن المعجم المفسر لألفاظ القرآن العظيم، صــ285 – 286.

([2]) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، صــ38.

تعويد الناشئة على أن يكون الصبر معولهم في خضم هذه الحياة، وتذكيرهم دائماً بالآيات التي تضمنت وصف عاقبة الصبر، وأنه سبب لتمحيص السيئات، فعن النبي ﷺ قال: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كُفر به من سيئاته) [1].

أن الصبر يكون دائماً تتويجاً لمرحلة سابقة وهي الابتلاء والاختبار في أمور تتعلق بالإنسان كصحة يعقبها مرض، أو غنى يعقبه فقر، أو حياة يعقبها موت، أو جهاد في سبيل الله يعقبه خسارة أو انتصار، قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١ ﴾ (هود: 9-11).

فيجب علينا تنبيه الأبناء إلى الثبات على الدين الإسلامي الصحيح بدون غلو أو تهميش، وعدم الانسياق وراء الدعوات المضللة والدفاع عن الإسلام بجميع الطرق الممكنة والمتاحة من خلال إذاعة وتلفاز وقنوات فضائية ، ولأننا نرى الحملة الشعواء على الإسلام والمسلمين وما ابتليت به الأمة، وفي هذا امتحان للمسلمين. قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١ ﴾ (محمد: 31).

يجب على الآباء والأمهات عند تدريب أبنائهم على الصبر في مناشط الحياة المختلفة مراعاة الفروق الفردية، إذ إن تحمل بعضهم وصبرهم يكون أقوى من بعض، كما أخبر الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام وقصته مع الخضر

([1]) النيسابوري، مرجع سابق، جـ4، ص 1993، كتاب البر والصلة والأدب.

وقول الخضر لموسى كما قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ (الكهف: 67–68). في هذه الآية بين الخضر لموسى عدم قدرته وصبره على الأفعال التي أُمر بها.

من الأمور التي يجب أن نربي أبنائنا عليها أنه إذا عزم على أمر من الأمور أن يستعين بالله سبحانه وتعالى، ويسأله سبحانه أن يمده بالصبر، كما جاء عن إسماعيل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات: 102). وكذلك استعانة موسى بالله تعالى عندما قال : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الكهف: 69).

يجب تأديب الناشئة بآداب الإسلام، وذلك بالتصبر عند وقوع الشدائد، وهذا يعتبر من المواساة، وقد أرشدنا القرآن الكريم بما يقال عند وقوع المصيبة، وهو إرجاع الأمر لله، إذ إنه هو من وهب لنا النعم، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (البقرة: 154– 156). وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ (السجدة: 24).

يجب على كل من يلي العملية التربوية ضرب الأمثلة للناشئة ابتداء من الأنبياء، وأنهم لم يبلغوا هذه المنزلة العظيمة حتى صبروا على إيذاء قومهم لهم، قال تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ (الأحقاف: 35).

وأن من مميزات صبرهم تدبرهم وتفكرهم في م لكوت الله، إذ يحتاج التدبر إلى انتظار ومشاهدة ومتابعة، إذ إن خلق الله في تغير مستمر، وهذا يحتاج إلى الوقت في رصده ومتابعته حتى يستدلوا على وحدانية الله وعبادته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ (الأنعام : 75-79). وكان صبرهم سبباً لتمكينهم وغلبتهم على أعدائهم. قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾(الأعراف: 128).

يجب لفت أنظار المربين في مجال التعليم لتربية أبنائنا تربية اجتماعية وعدم الاقتصار على التربية الأكاديمية، فقد بدأ يلاحظ ظهور طبقة من الخريجين

الذين لا يكادون يحسنون التعامل مع الآخرين، وعدم صبرهم على التلاميذ مما أنتج أجيالاً بعيدة كل البعد عن الصبر . مع العلم أن قاعدة الأخلاق في الشريعة الإسلامية كبيرة جداً، ولأهمية الأخلاق جعلها الرسول ﷺ سبباً في تفاضل المسلمين: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً) [1].

وخير هذه الأمة أنفعهم للأمة، سواء برفع ضرر أو جلب خير، كما د افع الغلام عن نفسه وعن الراهب مع أنه استخدم أسلوب الكذب، ولكن الدين الإسلامي دين يسر وسهولة.

يجب تعويد أبنائنا على الصبر منذ نعومة أظافرهم، حيث إنه بدأ يلاحظ في الآونة الأخيرة فقد الصبر عند الناشئين سواء في النواحي المعيشية أو العملية باختصار في جميع مناشط الحياة، وهذا ما قد يؤدي – لا سمح الله – إلى البعد التطبيقي لأحكام الشريعة الإسلامية.

"إن الصبر يكون على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وعن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها"[2].

وجميع أنواع الصبر تصب في بوتقة واحدة حتى يستطيع الإنسان من خلالها أن يفوز برضوان الله سبحانه وتعالى الذي يكون جزاؤه جنته، ويسبق هذه الجنة محاسبة وأهوال وأمور عظيمة لابد للإنسان أن يتنبه لها ويعد العدة لها، وأن يكون دائم الذكر للآخرة. وهذا هو مبحثنا القادم.

([1]) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 6035 صـــ1087 .

([2]) ابن قيم الجوزي، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، صـــ 46.

المبحث الرابع
التذكير بالآخرة

إن المتبصر في أموره يعد العدة لليوم الآخر ويعلم بزوال هذه الدنيا وأنه لن يُنجي نفسه إلا برضاه بالكفاف منها وعدم التوسع في ملذاتها ففي الأحاديث التالية يصور الرسولﷺ لصاحبته بعض المشاهد التي سوف تكون في الآخرة.

صور من تذكير بالآخرة للنبي ﷺ من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

ومن ذلك قول الرسول ﷺ: **(**قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد[1] محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامه من دخلها النساء**)**[2].

الحديث الثاني:

وكان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون بعضهم بعضاً بفناء هذه الدنيا، فهذا عتبة بن غزوان يخطب بهم : "فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم[3]، وولت حذاء [4]، ولم يبق منها إلا صبابة[5] كصبابة الإناء، يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير م ا بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، والله لتملأن، أفعجبتم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ [6] من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت

([1]) أصحاب الجد: المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها .

([2]) النيسابوري، شرح صحيح مسلم ، حديث رقم ، 2736، صـــ 75، جـــ4.

([3]) آذنت بصر : أي أعملت بانقطاعها وذهابها.

([4]) حذاء: مسرعة الانقطاع.

([5]) صبابة: البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء .

([6]) كظيظ: أي ممتلئ.

أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكاً فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا"[1].

الحديث الثالث:

كان الصحابة رضي الله عنهم في تفكر دائم في ما سوف يكون يوم القيامة، فها هم يسألون رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تضارون في رؤيةِ الشمس في الظهيرة ليست في سحابة)؟ قالوا: لا. قال: (فهل تضارون[2] في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة)؟ قالوا: لا. قال: (فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال : فيلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لكَ الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول : لا. فيقول : فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول : أي فل [3] ألم أكرمك وأسودك[4] وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس [5] وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول : يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هنا إذاً. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه، ويقال: لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه".

([1]) النيسابوري، مرجع سابق حديث رقم (2967) صـــ 2278 – 2279.

([2]) تضارون: أي تضامون تضامناً يدنوا بعضكم من بعض.

([3]) فل: أي فلان.

([4]) أسودك: أي أجعلك سيد قومك.

([5]) أذرك ترأس وتربع: أي تكون رئيس لقوم وتركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب.

وفي رواية أخرى أن أنس بن مالك قال : "كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: (هل تدرون مم أضحك)؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم . قال: من مخاطبة العبد ربه. يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال : يقول : بلى. قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه فيقال لأركانه[1]: انطقي. قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل[2])[3].

إن الله سبحانه وتعالى عرض على رسولهﷺ الجنة والنار، فعندما اطلع في الجنة وجد أن أكثر ساكنيها من الفقراء والمساكين؛ "لأن نسبتهم بالنسبة إلى الأغنياء كبيرة جداً[4]، وليس لفضل أو ميزة للفقر على الغنى، فإن الفقراء دخلوا الجنة بصلاحهم وتقواهم وليس لفقرهم، إذ لو اجتمع مع فقرهم كفرهم لما دخلوا الجنة، وفي هذه المشاهد رأى رسول الله ﷺ أن أصحاب الغنى والحظ الوافر الذين يعدون من السعداء في الحياة الدنيا قد أمر بهم إلى النار أن يدخلوها، وذلك للمعاصي التي اقترفوها في الحياة الدنيا، وليس بسبب غناهم، فإن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان كانوا من أغنياء المسلمين، وذكر حال أهل النار بأن عامة من دخلها كان النساء؛ لأن عدد النساء أكثر من عدد الرجال، ولسبب آخر أخبر عنه النبي ﷺ في موضع آخر حيث قال: (أُريت النار فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء)، قالوا : لم يا رسول الله؟ قال: (بكفرهن) قيل: يكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط)[5].

كانوا دائماً يذكرون بعضهم بعضاً حتى يبادروا إلى الأعمال الصالحة، فها هو

([1]) لأركانه: أي جوارحه.

([2]) أناضل: أي أدافع وأجادل.

([3]) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم (2968– 2969)،صـــ2280.

([4]) العسقلاني، بتصرف عن الفتح، صــــ 280، كتاب الرقاق، ج11.

([5]) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 5197، ص 956.

نبي الرحمة يقول لأصحابه: (نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس الصحة والفراغ)[1].

ويخوفهم النار ويخبرهم كيف سيكون حالهم في الآخرة، فقال ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة)[2]. ومن خلال ما صوره الرسول ﷺ لنا عن اليوم الآخر نتطرق إلى تعريفه في اللغة والاصطلاح.

التذكير بالآخرة لغة

والتذكير: "من الذكرى كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر ، قال تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(ص:43) (وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾)(الذاريات: 55).

والتذكرة: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والإمارة، قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (المدثر: 49).

والذكر يكون ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، ولكن عن إدامة حفظ وحضور الشيء بالقلب أو اللسان[3] أو بهما معاً.

"(آخر) يقابل به الأول، ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود :16). وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنعام: 32). وتقدير الإضافة : (دار الحياة الآخرة) [4].

الآخرة: هي عبارة عن عدة أحداث تحصل في نهاية الزمان، ويعبر عنها بعدة أسماء

([1]) البخاري، مرجع سابق، صـــ 1147، حديث رقم 6412.

([2]) البخاري، المرجع السابق حديث رقم (6539) صـــ1166.

([3]) الأصفهاني، مرجع سابق، صـــ 328-329.

([4]) الأصفهاني، المرجع السابق، صـــ 68-69.

منها: يوم الدين، اليوم الآخر، يوم القيامة، الساعة، يوم البعث، يوم الفصل، يوم الحساب، يوم الآزفة، يوم التناد، يوم الجمع، يوم الخلود، يوم الخروج ويوم التغابن.

وترى الباحثة أن التذكير بالآخرة: هو إدامة استحضار مشاهد ومواقف نهاية الزمان في عقل الإنسان وعلى قلبه، وأن يتحدث بلسانه عنها، وموقف الناس بين يدي الجبار سبحانه وتعالى، وحساب الناس على أعمالهم التي اقترفوها في حياتهم الدنيا، وذلك لشحذ هممهم ومبادرتهم إلى الأعمال الصالحة.

المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث الدالة على التذكير بالآخرة

ينبغي تعويد أبنائنا وتخويفهم من الذنوب وتعظيمها حتى لا يتساهلوا في الوقوع، وتعليمهم على التوبة عند الوقوع قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ (التحريم: 8).

عند تذكر اليوم الآخر فإن أول ما يلوح في الأفق هو ماذا أعددنا له فيجب تعويد أبنائنا على الأعمال الصالحة، وذلك بعمل جدول حائطي يكتب فيه أسماء الأبناء، وتعمل مسابقات في إتيان الأعمال الصالحة، وتحصى في نهاية كل أسبوع، ويجعل لها حوافز بما يناسب حال العائلة وحال الفائز في ذلك الأسبوع، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (التوبة: 105).

إن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وهذا ما توعد به إبليس من إغواء ابن آدم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف:17).

فعن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها، وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها، أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله"[1]

إن السبب الرئيسي في تسويف الإنسان للتوبة وإعداد العدة للآخرة هو ما أنعم الله عليه به من الصحة والغنى والفراغ، قال ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ) [2]. ولكن لابد للمربين والدعاة من وقفة مع المسلمين بتذكيرهم بالموت والنصح، وعمل محاضرات في أخبار اليوم الآخر فقد بدأ يلاحظ بعد بعض الدعاة ونسيانهم للحديث عن ما يحصل في اليوم الآخر وما قبله من ذكر خبر الجساسه والأعور الدجال وغيرها من أمور الآخرة التي تيقظ الخوف في نفوس العامة فإنه يخشى على أبنائنا بعدهم عن فهم أصول الدين في ظل المغريات التي أصبح الإنسان لا يستطيع صد تيارها الجارف، ولأنه "بهذه الطريقة يستطيع أن يتغلب الإنسان بذلك على هوى الشيطان، ويمده بالبصيرة النافذة [3]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف:201).

([1]) ابن كثير، مرجع سابق، جـ2، صـ 722، سورة الأعراف.

([2]) البخاري، مرجع سابق، كتاب الرقاق، حديث رقم 6412، ص 1147.

([3]) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، صـ 930، جـ3.

يجب على المسلم أن يفطن إلى الأعمال التي تكون رافداً له من الثواب في حياته وبعد مماته، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[1].

إن من أسباب الافتتان بهذه الحياة كثرة المغريات والشهوات، ولا يضاد ذلك تعلق قلب المسلم بها، ولكن ينبغي له عند وقوعه فيها أن يأوي إلى ركن شديد، وهو لجوؤه إلى الله سبحانه وتعالى ليعلم أن : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"[2]. ومن رحمة الله تعالى أن جعل لمن يخطئ مخارج أخرى، فمن ذلك التوبة والصلاة، فقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (هود: 114).

إن في تذكر أخبار السابقين أكبر الأثر في قمع النفس عن أهوائها وشهواتها، فما حصل للأمم السابقة لا نعلم عنه سوى ما ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وكذلك ما أخبر به الرسول ﷺ، وهذا الموضوع سوف يكون مبحثنا القادم بإذن الله تعالى.

---

(1) النووي، شرح صحيح مسلم باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته حديث رقم (1631)، جـ11، صـ94.

(2) الترمذي، أبو عيسى بن سورة (د–ت) سنن الترمذي، كتاب القيامة، حديث رقم 2501، صـ191،جـ7، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

المبحث الخامس

التخويف من عذاب الأمم السابقة

من البراهين العظيمة على صدق خبر نبينا محمد ﷺ ما ذكره عن الأنبياء السابقين وأخبار أممهم وتكذيبهم، وما حدث لهم نتيجة تكذيبهم لأنبيائهم، والعذاب الذي أرسله الله عليهم، وفي ذلك تخويف لمن جاء خلفهم، ولأخذ العظة والعبرة، وموضوعنا هو التخويف من عذاب الأمم السابقة وابتداءً صور من تحذير الرسول لهذه الأمة.

صور من تخويف الرسولﷺ لأمته من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

عن ابن عمر قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لنا رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم) ثم زجر فأسرع حتى خلفها[1].

الحديث الثاني:

وفي رواية أخرى (أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر، أرض ثمود. فاستقوا من آبارها. وعجنوا به العجين. فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين. وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة"[2].

الحديث الثالث:

وقد كان النبي ﷺ كثير الدعاء والتعوذ من سخط الله وعذابه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ

([1]) النيسابوري، مرجع سابق، صـــ 2285 حديث رقم (2980).

([2]) النيسابوري، المرجع السابق، صـــ 2286 حديث رقم (2981).

بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك[1]، وجميع سخطك)[2].

ومن تحول العافية تغيير الخلقة إلى شكل آخر وهو ما ذكره الله بأنه مسخ.

الحديث الرابع:

وقد ورد المسخ في الأمم السابقة حيث إن الرسول ﷺ قال: (فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته[3]) قال أبو هريرة: فحدثت هذا الحديث كعباً فقال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. قال: ذلك مراراً. قلت: أأقرأ التوراة قال إسحاق في روايته. لا ندري ما فعلت"

وزاد في رواية أخرى: "قال: الفأرة مسخ، وآية ذلك أن يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه، ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تذوقه، فقال له كعب: أسمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال أأنزلت علي التوراة"[4].

الحديث الخامس:

عن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني وكان الناضح [5] يعتقبه منا الخمسة والستة والسبعة فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له فأناخه فركبه ثم بعثه فتلدن[6] عليه بعض التلدن فقال له: شأ لعنك الله. فقال رسول الله ﷺ: (من هذا اللاعن بعيره؟) قال: أنا يا رسول الله قال: (انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا

([1]) فجأة نقمتك: أي البغتة.

([2]) النووي، شرح صحيح مسلم، حديث رقم (2739).جـ17،صـ59.

([3]) ألا ترونها إذا وضعت لها ألبان الإبل: معنى هذا أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بني إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها. فدل امتناع الفأرة من لبن الإبل دون الغنم على أنها مسخ من بني إسرائيل.

([4]) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (2997)، صـ2294.

([5]) الناضح: هو البعير الذي يستقى عليه.

([6]) فتلدن: أي تلكأ وتوقف.

تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم"[1].

في الحديث الأول حذر الرسول ﷺ صحابته من عذاب الأمم السابقة إشفاقاً منه ﷺ على صحابته، فأراد أن يؤدبهم بالآداب التي يجب أن يتبعوها عندما يمرون على الأماكن التي وقع فيها عذاب.

في الحديث الأول والثاني:

كانت هذه الحادثة زمن غزوة تبوك، عندما مر الرسول ﷺ على الحجر وهو واد بين المدينة والشام[2] كان مسكن قوم ثمود وكان نبيهم صالح عليه السلام، وهي المعروفة حالياً بمدائن صالح، وكانت معجزته الناقة التي عقرها له قدار بن سالف، فلما بلغ ذلك صالحاً عليه السلام أعلمهم بأن العذاب سيقع عليهم بعد ثلاثة أيام، قال تعالى : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ (هود : 64-65)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ (القمر: 31).

فعندما وقع عليهم العذاب أبادهم عن بكرة أبيهم إلا آل صالح ومن معه من المسلمين، فعندما مر رسول الله ﷺ بهذه البقعة من الأرض التي حلت عليها اللعنة أمر أصحابه أن يسرعوا في المسير، وعلل ذلك بأنه مخافة أن يقع عليهم العذاب الذي حل بهم، أو أن الرسول خاف بأن يكون العذاب لا زال قائماً، وفي ذلك أكبر اعتبار بمصارعهم وبما حدث لهم، وأن يستعيذ الإنسان بالله من ذلك[3].

إن الإنسان جُبل على الاهتمام بمنظره وأن تكون صورته حسنة، فكان من

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (3009)، صـ2304.

([2]) الكيلاني، مرجع سابق ، صـ101.

([3]) العسقلاني، بتصرف عن فتح الباري، صـ279- 380 وكذلك النووي، شرح مسلم للنووي صـ 321.

عذاب الله سبحانه وتعالى المسخ، وهو كما قال صاحب مفردات ألفاظ القرآن "تشويه الخَلْق والخُلُق وتحويلهما من صورة إلى صورة"[1].

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المائدة: 60).

وقد قال بعض الحكماء : "المسخ ضربان: مسخ خاص يحصل في الفينة بعد الفينة وهو مسخ الخَلق، ومسخ قد يحصل في كل زمان وهو مسخ الخُلق، وذلك أن يصير متخلقاً بخلق ذميم أو أن يتضمن الأمرين معاً".[2]

في الحديث الثالث دلالة واضحة على نبوة الرسول ﷺ؛ لأن فيه من أخبار الأمم البائدة التي لا يصل خبرها إلينا إلا بالوحي . وقال تعالى في بعض ما حرمه عليهم ذلك : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (الأنعام: 146).

التخويف في اللغة

التخويف: وهو "مأخوذ من الخوف وهو الفزع"[3].

وقال صاحب كتاب التعريفات: "الخوف: هو توقع حلول مكروه أو فقدان محبوب"[4].

وذكر الأصفهاني أن الخوف : "توقع مكروه عن إمارة مظنونة، أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"، وأوضح أن الخوف من

---

(1) الأصفهاني ، مرجع سابق، صــ 768.

(2) الأصفهاني، المرجع السابق، صــ 768

(3) الفيروز آبادي، جــ1، صــ 1045.

(4) الجرجاني ، مرجع سابق، صــ 87.

الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات، ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً، والتخويف من الله تعالى:هو الحث على التحرز [1]، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الزمر: 16).

وجاء في معنى العذاب : النكال والعقوبة [2]، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (المؤمنون: 76).

وذكر الراغب: "أن العذاب: هو ألايجاع الشديد، وقد عذبه تعذيباً، أكثر حبسه في العذاب، والتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان أن يعذب، أي :يجوع ويسهر، وقيل : أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي طرفه، وقد قال بعض أهل اللغة : التعذيب هو الضرب"[3].

وجاء في معنى الأمم السابقة: في مختار الصحاح أن أمة لها عدة معانٍ:

1 - "الأمة الجماعة": قال رسول الله ﷺ: (أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت)[4].
قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القصص: 23).

2 - "الأمة الطريقة والدين : قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ

---

(1) الأصفهاني ، مرجع سابق مادة خوف. صـــ 303.

(2) ابن منظور، مرجع سابق، جـــ صـــ585.

(3) الأصفهاني، مرجع سابق ، صـــ 554- 555.

(4) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم (2997).صـــ2294.

خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران : 110). قال الأخفش: "يريد أهل أمة أي كنتم خير أهل دين".

3 - "والأمة الحين [1]: قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (هود: 8)".

وذكر الأصفهاني أن الأمة هي كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً، وجمعهم أمم"[2].

والسابقون: من "(سبق): أصل السبق التقدم في السير. [3] أي المتقدمون في الزمان.

و ترى الباحثة أن التخويف من عذاب الأمم السابقة : هو عرض ما حل بالأمم السابقة من أنواع العذاب الذي أخبر به رسول الله ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك للتحرز من الوقوع في الذنوب والمعاصي التي تعتبر هي السبب الرئيسي في حلول غضب الرحمن، وحتى لا يحصل لهذه الأمة مثل ما حصل للأمم السابقة من وقوع العذاب.

أنواع العذاب

النوع الأول: إن المتدبر لآي القرآن الكريم يظهر له جلياً نوع العذاب الذي أنزل على الأمم البائدة، حيث لا نعلم عنها شيئاً سوى ما أخبرنا به القرآن الكريم، فكان عذابهم عن طريق الإبادة الجماعية التي تستأصلهم.

([1]) الرازي، مرجع سابق، جـ1، صـ 219، صـ 10.

([2]) الأصفهاني، مرجع سابق، صـ 86.

([3]) الأصفهاني، المرجع السابق، صـ 395.

وهو ما أمن الله منه أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾) (الأنفال: 33). "أي ما كان يعذبهم عذاب الاستئصال"[1].

لأن قريشاً دعت على نفسها، فقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنفال: 32). وهذا العذاب يكون عاماً لجميع الأمة، وهذ ا ونظائره كثير في القرآن الكريم، إذ قال أيضاً قوم شعيب عندما أُرسل إليهم [2]: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الشعراء: 187).

النوع الثاني: وهو الذي ينزل على بعض الأفراد أو الدول مثل الزلازل والبراكين وبعض الأمراض الوبائية، ولكن بفضل الله أنها لا تؤدي إلى إبادة الأمة.

وقد ظهر هذا الأمر في هذه الأمة، فلا تنفك أجهزة الإعلام تنقل إلينا أخبار أعاصير وفيضانات وزلازل وحرائق وحروب، والمقصود بالحروب هو ما أشار إليه الرسول ﷺ بإذاقة بعضهم بأس بعض.

وألوان العذاب كثيرة، وقد وضح الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ما فعل بالكفار المتكبرين على عبادة الله سبحانه وتعالى، فمن ذلك ما حاق بقوم نوح حيث قال الله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (العنكبوت:14)

([1]) الأصفهاني مرجع سابق ، صـــ 555.

([2]) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، صـــ8- 9 – جـــ2.

وجاء في معنى الطوفان "أنه كل حادثة تحيط بالإنسان، وصار متعارفاً عليه في الماء المتناهي في الكثرة، لأجل أن الحادثة التي نالت قوم نوح كانت ماءً"[1].

أنواع العذاب في الأمم السابقة

الجوع والعطش وضيق الأرزاق، وذلك بسبب كفرهم للنعم وعدم شكرهم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ ﴾ (سبأ: 15-18).

ومن أنواع العذاب الذي سلطه الله سبحانه وتعالى الخوف والفرقة والذلة وكثرة القتل والحروب.

وذكر الله من عذاب الأم السابقة الريح المعروف، وهي فيما قيل الهواء المتحرك، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة، فمن الريح [2]: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ ﴾ (القمر: 19) وقال في الجمع : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ (الحجر:22).

وسلط الله على الأقوام البائة الأمراض والبلايا والطواعين، فقد أخبرنا نبي الله ﷺ أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع

([1]) الأصفهاني مرجع سابق، صـــ 532.

([2]) الأصفهاني، مرجع سابق، صـــ 370.

فيه الطاعون، فيمكث في بلده صابراً يعلم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد"(1).

ومن أنواع العذاب الذي عذبت به الأمم السابقة "الصيحة، وهي رفع الصوت حتى يُفزع "(2). فقال تعالى عنهم : ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (هود: 67).

وفي هذا حرص من النبي ﷺ على أمته أن يبعدهم ويجنبهم كل أمر قد يسبب دخولهم مع زمرة الذين غضب الله عليهم، ويدخلهم النار، ويبعدهم عن رضوان الله تعالى.

المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث التخويف من عذاب الأمم السابقة

ينبغي تعويد الناشئة على محاسبة أنفسهم ومراجعة أعمالهم التي يقعون فيها، فإن أي آفة تجتاح الإنسان في نفسه أو ماله أو ولده إنما سببها ما اقترفه من الذنوب. قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى : 30). وتنبيههم على ما يحدث في هذا الزمان سواء من طوفان تسونامي أو الزلازل والبراكين التي نسمع عنها دائماً و تطالعنا بها الأخبار أنها بسبب زلزال في البحر أو ضعف القشرة الأرضية وإنما هو عذاب يرسله الله تعالى على هذه الأقوام فيجب علينا الإنابة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وزرع في نفوس الأبناء أنا لسنا بمأمن مما حصل لهذه الأمم إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(1) البخاري، مرجع سابق، كتاب الطب ، صـــ 1044.

(2) الأصفهاني، مرجع سابق، صـــ 370.

يجب على المربين رفع المستوى الثقافي للأبناء، وذلك بإخبارهم بأحوال الأمم السابقة، والاعتبار بما وقع لهم من الخزي والعار ووقوعهم في عذاب الله سبحانه وتعالى عندما تركوا طاعته وليعتبر الإنسان من ذلك، وأنه ليس بمأمن إلا إذا آمن بالله ورسوله وأخلص له العبادة، وأرجع إلى الله الأمر كله وفوضه لله، ولا يفعل كما يفعل الملاحدة والكفار من ربط الأسباب بالمسببات، مثال ذلك ما حدث في الآونة الأخيرة من كثرة الأعاصير والفيضانات بسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض ولم يعترفوا أنها بسبب المعاصي، وإنها عقوبة من الله سبحانه وتعالى، وانقطاع الأمطار بسبب قلة بخار الماء أو بسبب أنها واقعة في منطقة صحراوية.

ضرب الأمثلة في تورع الصحابة من نسبة شيء من العلم لأنفسهم، وإنما تفويض العلم كله لله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ﷺ. قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ (غافر:7). لكي يتمثلوا بأخلاقهم ولا يكونوا خنفشاريين.

توجيه الآباء والأمهات إلى عدم الدعاء على أنفسهم أو أبنائهم أو أموالهم، وتدريب الأبناء على الآداب التي يجب أن يسلكها إذا لعن شيئاً من ممتلكاته كما فعل النبي ﷺ عندما لعن الصاحبي جمله وقد كانوا في أمس الحاجة له، وذلك لأن معظم الناس في هذا الزمان لا يكاد لا ينتهي يومه إلا وقد لعن كل ما لم يرضى عنه، وهذه مخالفة صريحة لما نهى عنه الرسول ﷺ.

لابد من تعويد الجيل الإسلامي الجديد على شكر نعم الله سبحانه وتعالى وصرف جميع أنواع العبادة له وحده، إذ إن سبب إنزال العذاب والعقوبة هو

كفرهم بالله وجحود نعمه قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ (سبأ: 18-19).

ينبغي التحذير ووضع علامات إرشادية عند بداية أماكن عذاب الأمم السابقة مثل وادي محسر ومدائن صالح وأماكن عذاب قوم لوط وأماكن الغرق وغيرها، وكتابة حديث رسول الله ﷺ عندما مر على أصحاب الحجر حتى يتأدبوا بهذه الآداب من البكاء والإسراع في المسير، وأن لا نجعلها أماكن نرتادها للسياحة والمتعة. فقد بدأ يلاحظ على بعض أبناء هذا الجيل الاتجاه إلى تحويل أماكن عذاب الأمم السابقة إلى أماكن للتنزه والسياحة وهذا مخالف لحديث رسول الله ﷺ وفي ذلك خوفاً على أبناء هذه الأمة من الانسلاخ من هويتهم الإسلامية.

وجماع ذلك كله إخلاص العبادة لله؛ إذ لولا كفر الناس لما عذبوا، وهو سوف يكون مبحثنا القادم إن شاء الله.

المبحث السادس

الإخلاص في الأعمال

من أول ما يربى عليه الأبناء هو الإخلاص في جميع أمور حياتهم لله تعالى فإن في الإخلاص الخلاص من الوقوع في الذنوب والمعاصي المهلكة الموقعة في غضب الله سبحانه وتعالى ومن ذلك ما ذكره الرسول ﷺ.

صور من تحذير الرسول ﷺ لامته من الرياء من كتاب الزهد والرقائق للأمام مسلم

الحديث الأول:

إن من الشرك الذي خشي الرسول ﷺ على أمته من الوقوع في الرياء، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: (قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[1].

الحديث الثاني:

وينكل الله بالمرائي أشد تنكيل ويذله أعظم إ ذلال، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به)[2] ذكر النووي فيه أقوالاً عدة منها أنه من "راءى بعمله وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره، سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل : من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل: أسمعه المكروه، وقيل : أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه"[3]. ويستثنى من ذلك إذا "كان إماماً يستن بعمله، عالماً بما لله عليه، قاهراً لشيطانه، استوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده، ومن كان بخلاف ذلك فالإخفاء في حقه أفضل، وعلى ذلك جرى عمل السلف"[4]. ومن هنا نخلص إلى تعريف الإخلاص.

([1]) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم 2985، صـــ 2289..

([2]) النيسابوري، المرجع السابق، حديث رقم 2986، صـــ 2289..

([3]) النووي، مرجع سابق، ج 18، صـــ 326 و صـــ 327.

([4]) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق، جـــ 11، صـــ 337.

الإخلاص لغة

الإخلاص تعريفه لغة: "من مادة (خ ل ص) أخلصه وخلصه وأخلص دينه أمحضه وأخلص الشيء اختاره"[1].

وذكر صاحب المختار أن "الإخلاص أيضاً في الطاعة ترك الرياء، وقد أخلص لله الدين، وخالصه في العشرة صافاه، وهذا الشيء خالصة لك أي خاصة، واستخلصه لنفسه استخصه"[2].

وزاد الأصفهاني فيه أن "الخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه"، وذكر أيضاً أن إخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا عما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ (المائدة: 73). ويرى أن حقيقة الإخلاص: هو التبرؤ عن كل ما دون الله تعالى"[3].

وذكر الجرجاني فيه كلاماً مفصلاً و نقل فيه أقاويل عدة:

فذكر "أن الإخلاص في اللغة: ترك الرياء في الطاعات ، وفي الاصطلاح : تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته.

فقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص الخلاص من هذين؛ وألا تطلب لعملك شاهداً غير الله.

وقيل: الإخلاص: ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله"[4].

---

(1) ابن منظور، مرجع سابق، ج7 ، صـــ 26.

(2) الرازي، مرجع سابق، صـــ 77.

(3) الأصفهاني مرجع سابق، صـــ 292.

(4) الجرجاني ، مرجع سابق، صـــ20.

وذكر بأن هناك فرقاً بين الإخلاص والصدق لمن استشكل عليه:

1 - "أن الصدق أصل والإخلاص فرع".

2 - أن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل "[1] بينما الصدق لابد أن يكون قبل العمل أي بنيته.

وترى الباحثة أن الإخلاص أن يصدق الإنسان في أقواله وأفعاله وخطراته، وأن يكون الباعث له مرضاة الله سبحانه وتعالى، وطريقه إلى ذلك يكون بستر جميع أعماله عن أن ينظر الناس إليها بعين الإعجاب، وإن اطلع عليه فلابد له أن لا يزيد من تحسينها، بل يكون نظر الناس والجماد إليه واحد، وأن لا يدخله العجب من عمله، بل أن يرى عمله بعين الخوف والرجاء ومتأملاً في قبوله.

حقيقة الإخلاص

تنقسم إلى قسمين:

"القسم الأول: من حيث تعلقه بالعمل:

فإذا أريد بالعمل وجه الله سبحانه وتعالى وحده كان العمل خالصاً، وإذا دخلت عليه نية أخرى حتى وإن كانت مباحة فإن العمل يخرج عن كونه خالصاً لله.

"القسم الثاني: من حيث معناه وشروطه كموقف يلتزم به الإنسان في حياته :

فيظهر لنا أنه يتصل بأقوال وأفعال وأعمال العبادات وخطرات القلوب، وشروط ذلك أن يكون مستمراً في جميع مواقف حياته، وأن يكون متكاملاً بين النية والفعل، وأن يكون بنيانه على العلم، وأن يتدرج فيه للوصول إلى الكمال في الإخلاص، وأن يكون أميناً وصادقاً في رعاية هذه الحقوق الربانية"[2].

ومعظم الآيات التي يذكر فيها الإخلاص لله سبحانه وتعالى تكون مقترنة بالدين أو بصرف العبودية لله تعالى:

([1]) الجرجاني، مرجع السابق، صـــ20.

([2]) ابن حميد، باختصار عن نضرة النعيم (صـــ 125 - 126)، جـــ2.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (البينة:5).

وقال تعالى : ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأعراف: 29).

قال ابن كثير في ذلك: "أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محلها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله، وما جاؤوا به من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته ، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين : أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك"[1].

المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث الدالة على الإخلاص

1 – غرس الصدق في الأقوال والأفعال عند الناشئة، لأنه أساس الإخلاص فقد بدأ يلاحظ لديهم كثرة الكذب فيخشى عليهم من الاعتياد على هذا المزلق الخطر الذي يبعدهم – لا قدر الله – عن أحكام الشريعة الإسلامية التي تنبذ الكذب.

2 – تعويد الجيل الإسلامي على عدم البحث عن ثمرة أعمالهم في الدنيا وإنما ادخارها إلى الآخرة.

3 – تخويف الأبناء من عاقبة المراءاة في الأفعال والأقوال، وتبيين أن ذلك أحد حبائل الشيطان في إبطال أعمالهم، وأنه لن ينجوا من هذه الحبائل إلا عباد الله المخلصين، قال تعالى : ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الحجر: 38–40).

4 – تعريف الناشئة بأن الإخلاص من صفات الأنبياء المصطفين حتى يقتدوا بهم،

---

(1) ابن كثير، سورة الأعراف، جـ2، صـ 726.

كما قال تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يوسف:24)، وأن درجته عالية فإن المخلص في أعماله يكون أقرب الناس إلى شفاعة الرسول ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال : (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيته من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه)[1]. وعند ذكر من سارت الركبان في الحديث عن أخلاقهم يعتبر ذلك شحذاً للهمم للاقتداء بهم.

([1]) البخاري، صحيح البخاري ، حديث رقم (6570)، صــ1169.

المبحث الأول

التـــواضـــــع

التواضع من الأخلاق الاجتماعية الفاضلة التي يصلح بها حال المجتمع الإسلامي، لأن المتواضع "يتألف القلوب ويملكها بالمحبة، لاسيما إذا كان من عظيم القوم لأتباعه وجنوده المنتمين إليه، فقد كان الرسول ﷺ متواضعاً خافض الجناح لين الجانب إذا جلس بين أصحابه كان كأحدهم"[1].

صور من تربية النبيﷺ على خلق التواضع من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

وهذا ما ربى عليه الرسول ﷺ صحابته عليه، فقد ذكر أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه).

وفي موضع آخر علل لهم ذلك : (انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا[2] نعمة الله)[3].

الحديث الثاني:

ومع هذه التربية الإيمانية إلا أنه لا يعارض أن يمدح الإنسان نفسه، فعن قيس قال : سمعت "سعد بن أبي وقاص يقول : والله إني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ومالنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة[4]، وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الدين، لقد خبت إذاً وظل عملي"[5]

الحديث الثالث:

---

(1) الميداني، عبد الرحمن حسن بن حبنكه (1407هـ) الأخلاق الإسلامية وأسسها. جـ1، صـ 471، دار القلم- دمشق.

(2) تزدروا: تحتقروا.

(3) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (2963)، صـ2275.

(4) ورق الحبلة: هو نوعان من شجر البادية.

(5) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (2966)، ص 2278.

ومن دروس أدب التواضع التي يؤدب بها صحابته رضي الله عنهم ما قصه عليهم في منامه ﷺ حيث قال: (أراني في المنام أتسوك بسواك فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما فقيل لي: كبر فدفعته إلى الأكبر)[1].

في الحديث الأول يوضح الرسول ﷺ السبب في ذلك وهو حتى لا يحتقر الإنسان النعم التي أنعم الله بها عليه، وحتى يقطع على النفس الإنسانية باب الحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الهشيم، وقد ذكر "ابن جرير أن هذا الحديث جامع لأنواع من الخير؛ لأنه إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير"[2].

وقد واسى الله سبحانه وتعالى رسوله في نحو ذلك حيث قال له: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الحجر: 88).

وفي الحديث الثاني يجوز للإنسان مدح نفسه عندما يريد أن يدافع عن نفسه مثلاً، ويظهر الحق، وهذا لا ينافي التواضع، وإنما هو من صفات المؤمن القوي.

فهذا نبي هذه الأمة يعلم أمته بما علمه الله سبحانه وتعالى عن طريق الرؤيا الصادقة، حيث إنه من آداب التواضع أن يقدم الكبير في الأمر المستحسن وأن يوقره.

ولمعرفة المزيد عن خُلق التواضع نبحث عنه في كتب اللغة.

التواضع لغة

جاء في لسان العرب: "الوضع ضد الرفع، والضعة بالكسر والضعة بالفتح خلاف الرفعة في القدر والأصل، وهو ضد الشريف، ووضع منه فلان حط من درجته

(1) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (3003)، باب منازلة الأكبر، صـــ2298.

(2) النووي، شرح صحيح مسلم للنووي، جـــ 18، صـــ 309.

والضعة الذل والهوان والدناءة، والتواضع التذلل"[1].

ووافقه صاحب القاموس بأنه " تواضع وتذلل وتخاشع"[2].

وذكر صاحب المفردات " بأن الوضع أعم من الحط، ورجل وضيع بين الضعة في مقابلة رفيع بين الرفعة"[3].

وقد ذكر ابن حجر: "أن التواضع بضم الضاد المعجمة مشتق من الضعة بكسر أوله وهي الهوان، والمراد بالتواضع إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله"[4].

وذكر ابن القيم: "أن حقيقة التواضع خضوع العبد لصولة الحق وانقياده لها فلا يقابلها بصولته عليها"[5]

وترى الباحثة أن التواضع هو أن يقبل ما جاء به الرسول ﷺ من أوامر الله ونواهيه، وأن يلين جانبه، ويصل إلى مستوى جلسائه، سواء كانوا صغاراً أو كباراً، ساسة أو مرؤسين، وأن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ويقبل الحق من قائله مهما كانت منزلته؛ وأن لا يخاف في الله لومة لائم، فلا يداهن ولا يحابي، وبالمقابل يكون فيه عزة وشموخ وأنفة لأعداء الإسلام.

وقد روى البيهقي والطبراني قول رسول الله ﷺ: (طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة)[6].

درجات التواضع عند ابن القيم

---

(1) ابن منظور، مرجع سابق، صـــ 396 و صـــ 399.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مرجع سابق، جـــ1، صـــ 997.

(3) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ، مرجع سابق، مادة (وضع) ، صـــ 874.

(4) العسقلاني، فتح الباري ، مرجع سابق، جـــ11 صـــ341.

(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ، مرجع سابق، جـــ2، صـــ 333.

(6) البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي (1414هــ) سنن البيهقي الكبرى، ج4، ص182، رقم الحديث 7572، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (1404هــ)، المعجم الكبير، ج5، ص 71، رقم الحديث 4616، ط2، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل.

ذكر ابن القيم أن للتواضع ثلاث درجات:

1 -" التواضع للدين وهو الانقياد بما جاء به الرسول ﷺ، ولا يحصل ذلك إلا عن طريق عدم معارضة معقول بمنقول، ولا يتهم للدين دليلاً، ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً.

2 -لا تصح درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب وتبغض.

3 -أن لا يرى لنفسه حقاً على الله لأجل عمله"[1]. وإنما يرى ذلك توفيقاً من الله.

ويجب على الإنسان أن يتمثل التواضع ويتحراه في أفعاله؛ لأن النفس جموحة بطبعها، ولا تنقاد للأوامر، فإن حدث واستعصت على صاحبها فلابد من كبح جماحها، ويكون ذلك بتذكيرها بذل العبودية وهو أربع مراتب:

مراتب العبودية

"المرتبة الأولى مُشتركة بين الخلق، وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله تعالى.

المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية، وهو ذل الاختيار، وهذا خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية.

المرتبة الثالثة: ذل المحبة، فإن المحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته يكون ذله .

المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية".[2]

وأن يتمثل دائماً قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: 13). وأن يحرص دائماً على معاهدة نفسه وتربيتها على التذلل والخضوع له سبحانه وتعالى، وها هو أبو حامد الغزالي يذكر بأن "من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه المجاهدة: أن يواظب على أفعال المتواضعين

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (1375هـ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، جـ2،. صـ334 -339.

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، مرجع سابق، جـ1، صـ 207.

مواظبة دائمة ، على التكرار مع تقارب الأوقات"[1].

المبادئ التربوية المستنبطة من خلال الأحاديث التي تدل على خلق التواضع:

- يجب على الوالدين توضيح معنى التواضع، وأنه ليس المقصود بالتواضع هو أن يهين المسلم نفسه أو ينقص من قدره، وإنما المقصود هو الرجوع للحق دائماً والرضا بحكم الله ورسوله، ويعد من الكبر الرجوع في الحكم إلى القوانين الوضعية ظناً منهم أن القرآن لا يفي بمتطلبات العصر الحديث، وهذا ما بدأ يلا حظ على بعض الدول الإسلامية. فقد قال لقمان لابنه يعظه: "يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس"[2].
- ينبغي على الأم المسلمة والأب المسلم أن يعودوا أبناءهم على هذا الخلق الرفيع منذ نعومة أظفارهم، مثالاً على ذلك حب الأعمال اليدوية، وأن يبثوا في نفوسهم أن من أفضل الكسب عمل المسلم بيده، فقد بدأ يلاحظ تفضيلهم للبطالة على أن يعملوا بأيديهم، وهذا سببه تكبرهم؛ لأن عمل الإنسان بيده فيه كثير من التواضع.
- ومن أبجديات التواضع التي يجب على الآباء والأمهات تعليمها لأبنائهم تقديم الكبير ورحمة الصغير وعدم الإسراف في المأكل والمشرب والملبس، وكذلك في وسائل المواصلات، حتى إنه يجب على الإنسان أن يراعي مشيته فلا يكون فيها خيلاء؛ لأن ذلك مما يمقته الله قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ (لقمان: 18).
- إن التواضع يسبب محبة الناس للمتواضع وقبولهم لقوله، وعلم ﷺ بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة، فذكر الطبري أن في التواضع مصلحة الدين والدنيا، فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة "[3]

---

(1) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (1403هـ)، ميزان العمل. باب معالجة الهوى، صـ48، دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) السفاريني، محمد بن أحمد (د.ت)، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، جـ2،صـ228، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(3) العسقلاني، مرجع سابق، صـ 341، جـ 11.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: 159).

- وتعليم الأبناء بأن مدح الإنسان نفسه بما يعلم صدقه فيه إذا كان لرفع ظلم أو تهمة عن نفسه أو على سبيل الاقتداء به في الأعمال لا يتعارض مع التواضع الذي أمر الإسلام به، ولكن الذي يتعارض معه هو الكبر.
- ينبغي على كل من يلي العملية التربوية أن يغرسو ا في أبنائنا الحب والتواضع خاصة لذوي الاحتياجات الخاصة ممن ابتلاهم الله سبحانه وتعالى، وعدم تعييرهم بالنقص الموجود لديهم، وهذا ما درجت عليه حكومتنا الرشيدة وأكبر صدق على ذلك الاهتمام بهم ودمج بعض الحالات في المجتمع من خلال قطاعات التعليم والأعمال.

وذلك مما حث عليه النبي ﷺ في كيفية تصرف المتواضع حيث قال : (إن الله أوصى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[1]. وفي ذلك قمة العدل بين المسلمين الذي يعتبر من أعظم النعم التي لابد للمسلم أن يشكر الله سبحانه وتعالى عليها، وهو مبحثنا القادم أي الشكر إن شاء الله تعالى.

(1) النووي، شرح صحيح مسلم، حديث رقم (2865) باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، صـــ205 – 206.

المبحث الثاني

التحدث بنعم اللّه وشكرها

يتقلب الإنسان في نهر من النعم كلما انتهى من نعمة وإذا هو في نعمة أخرى، بل إن هذه النعم متداخلة ومتراكبة بعضها فوق بعض لا يمكن إحصاؤها أوعدها، بل إننا نغفل في كثير من الأحيان عن هذه النعم وما تستوجبه علينا، وهذا ما سنعرفه من خلال هذا المبحث ألا وهو التحدث بنعم الله وشكرها، ومن ذلك ما جاء به خبر الثلاثة من بني إسرائيل.

صور من شكر نعم اللّه وعاقبة ذلك من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

جاء في خبرهم أن أبا هريرة حدث أنه سمع النبي صلى الله ع ليه وسلم يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس . قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر. – شك إسحاق– إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر، فأعطي ناقة عشراء[1]، فقال: بارك الله لكَ فيها.

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس . قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال : البقر. فأعطي بقرة حاملاً، فقال : بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال : أن يرد الله إلي

([1]) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

بصري، فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الغنم. فأعطي شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا.

قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك؛ ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري . فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله، فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم فقد رضي عنك، وسخط على صاحبيك)[1].

الحديث الثاني:

ومن ذلك حديث الرسول ﷺ "عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (إن الدنيا حلوة خضرة[2]، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم 2946،صـــ2276 – 2277.

([2]) حلوة خضرة: أي حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها، أو سرعة فنائها كالشيء الأخضر .

النساء)، وفي حديث ابن بشار: (لينظر كيف تعملون)[1].

الحديث الثالث:

مدح الرسول ﷺ المسلمين بذلك وقال: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[2].

الحديث الرابع:

منها ما روي عن أبي بردة قال: دخلت على أبي موسى وهو في بيت بنت الفضل بن عباس فعطست فلم يشمتني، وعطست فشمتها، فرجعت إلى أمي فأخبرتها، فلما جاءها قالت : عطس عندك ابني فلم ت شتمته، وعطست فشمتها؟ فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه).

أما إذا تكرر العطاس فإنه يكتفى بتشميته في البداية، ومن ذلك أن سلمة بن الأكوع إن أباه حدثه أنه سمع النبي ﷺ وعطس رجل عنده فقال له: (يرحمك الله) ثم عطس أخرى فقال له الرسول ﷺ: (الرجل مزكوم)[3].

في الحديث الأول يخبر النبي ﷺ عن إحدى القصص التي وقعت في بني إسرائيل ليحصل الاتعاظ بها، فمن ذلك أن ثلاثة أشخاص من بني إسرائيل واكتفى بذكر أحوالهم دون ذكر أسمائهم وهذا ليخرج من مزلق الغيبة المحرمة، وبين أن الله سبحانه وتعالى يختبر أفعال الناس في هذه الدنيا الفانية وهو أعلم بما سيفعلونه.

يحذر الرسول من الدنيا وافتتاننا بها، وينصح المرأة أن تكون خير معين لزوجها في هذه الدنيا وأن تحمد الله دائماً على ما قدر الله من رزق، لها، وأن تصبر على نوائب الدهر، فهذا مما مُدح به المسلمون[4].

---

(1) النووي، شرح صحيح مسلم، حديث رقم 2742، جـ17، صـ60.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم 2999، صـ2295.

(3) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق، حديث رقم (2992) – (2993)، ص 2292.

(4) النووي، شرح صحيح مسلم، ج17، صـ 59–60.

ومعنى الشكر لغة

هو "عرفان الإحسان ونشره ، والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل، والشكور من صفات الله جل اسمه، معناه أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده مغفرته لهم، وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته" [1].

وذكر صاحب المختار: "أن الشكر الثناء على المحسن، والشكران ضد الكفران"[2]. وجاء في المفردات أن الشكر": تصور النعمة وإظهارها.

وقد وصف الله بالشكور في قوله تعالى : ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (التغابن :17) يعني به إنعامه على عباده، وجزاؤه بما أقاموه من العبادة"[3].

الشكر اصطلاحًا

وبين الجرجاني أن الشكر: "العرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرها إلى ما خلق لأجله.

الشكور هو الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً"[4].

إن العبودية لله في مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة، ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله أن توضع فيها، وأن لا يعصي المنعم بها، وأن يرى التقصير في جميع ذلك[5].

وترى الباحثة أن التحدث بنعم الله وشكرها هو اعتراف الإنسان بما امتن الله

---

(1) ابن منظور، مرجع سابق ، جـ4، صـ 424- 425.

(2) الرازي ، مرجع سابق، جـ 1، صـ 145.

(3) الأصفهاني ، مرجع سابق، صـ 461، صـ 462.

(4) الجرجاني،مرجع سابق، صـ 107.

(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، جـ2، ص 193.

عليه من أنواع النعم ابتداءً من الإسلام والعقل والصحة، واعترافه يكون بالقلب، وهو أن يمتلئ القلب بإجلال الله على هذه النعم، وبالقول بأن يذكر هذه النعم بالتحدث بها، وبالعمل بأن يتعبد الله بها بما افترضه عليه من العبادات، ويبتعد عما نهاه عنه.

طرق الشكر

ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بحق الشكر إلا إذا ظهر الشكر في ثلاثة طرق:

1 –شكر القلب، وهو تصور النعمة.

2 –شكر اللسان، وهو الثناء على المنعم.

3 –شكر سائر الجوارح ، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه.

وقد ورد لفظ: "اعملوا بدل لفظ اشكروا لبيان أن الشكر لا يكون إلا بهذه الثلاث الطرق[1] فقال تعالى : ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾(سبأ:13)".

مكانة الشكر

ولنفاسة الشكر وصعوبته على النفوس لم يتصف به إلا قليل من الناس، وقد "مدح الله سبحانه وتعالى اثنين من أنبيائه ووصفهم بالشكر، ولم يمدح سواهما به، الأول نوح[2] عليه السلام، قال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾ ﴾ (الإسراء: 3).

أما الممدوح الثاني فهو إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ ﴾ (النحل: 120-121)

(1) الأصفهاني، مادة شكر ، صـــ 461.

(2) الأصفهاني، المرجع السابق صـــ462 بتصرف.

وفي الآية الثانية ورد في الأثر : "إنما سمي نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله [1]".

ففي الآية الأولى "يمدح الله نبيه إبراهيم بأنه كان يعلم الناس الخير فقائم أيضاً بشكر نعم الله عليه أي بجميع ما أمره الله تعالى"[2].

"وقد بين الله حال الناس مع النعم فقال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النمل: 40).

ثم وضح بأن أكثر الناس لا يشكرون نعم الله ولا يقومون بحقها: قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (البقرة: 243).

وقد قرن الله سبحانه وتعالى عبادته بشكره، وهذه المكانة للشكر في العبادة، وأنه يعتبر نصفها . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَـٰنًا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (العنكبوت: 17).

وقال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (النحل: 114).

---

(1) ابن كثير، مرجع سابق، صـ 1079، جـ3.

(2) ابن كثير، المرجع السابق، جـ2 ، صـ 1049.

ولأهمية الشكر فإن الله أخبر أنه لولا الشكر لزالت النعم.

قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الواقعة: 68-70).

وقد أعلم الله عباده بأنه يزيد لهم من النعم إن هم شكروها، وليس هذا إلا للشكر، فليس هناك عبادة أجزل الله لعباده إلى مالا نهاية إلا الشكر، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم:7).

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأغلاها جعل عنايته أن يسعى في قطع الناس عنه[1]، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف: 16-17).

ولعظمة الشكر "كانوا يسمونه (الحافظ)؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، و (الجالب)؛ لأنه يجلب النعم المفقودة"[2].

علاج التقصير في شكر النعم

وفي هذا تنبيه عظيم يجب أن تلتفت إليه أجيال الأمة فيعمروا وقتهم بالشكر لله على النعم، وأن يعالجوا تقصيرهم في ذلك، ولا يكون علاج التقصير في شكر النعم إلا عن طريق:

1 -اعتراف العبد بقلبه بأنها من الله تعالى فضلاً، وأن يتحدث بها تذكيراً لنفسه، وأن يستعملها فيما يقربه من ربه عز وجل.

2 -سؤال الله النعم ابتداءً ثم سؤاله شكر هذه النعم، قال تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا

(1) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، صـــ 150-152، بتصرف.

(2) ابن قيم الجوزية، المرجع السابق، صـــ155.

مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النمل: 19).

3 -أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يسأله يوم القيامة عن شكر نعمته، فقال تعالى : (ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾) (التكاثر:8).

4 -أن يعلم الإنسان يقيناً أن النعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم: 7).

5 -على ذي النعمة أن لا يتزهدها وإنما يتقبلها بالشكر؛ "لأن الذي لا يشكر القليل لا يشكر الكثير"قال النبي ﷺ على المنبر: (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب)[1].

6 -أن يتذكر الإنسان حال من حرم هذه النعم فيعلم فضل الله عليه.

7 -الحث على شكر النعم وعدم التعرض لسخط الله كما حصل للأمم السابقة قال تعالى : ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سبأ:19-20).

8 -أن كفر النعم يكون بنسبة النعم إلى غير المنعم بها، فنراه ينسبها إلى نفسه أو مآثر نسبه[2].

---

(1) البزار، أبو بكر أحمد بن عمر (1409هـ)، مسند البزار (البحر الزخار)، ج8، ص 226، رقم الحديث 3282، تحقيق د/ محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

ورواه الإمام أحمد في المسند، ج4، ص 375، رقم الحديث (19369-19370).

(2) القصير، عبد الله بن صالح (1418هـ) اللمع من خُطب الجُمع، مج 2، صـ 220، دار ابن خزيمة، الرياض.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (القصص: 78).

وقد قرن الله بين الصبر والشكر في أربع مواضع في القرآن الكريم منها، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ (إبراهيم: 5). وذلك لتلازمهما.

المبادئ التربوية المستنبطة من خلال الأحاديث الدالة على التحدث بنعم الله وشكرها:

- لا بد على الوالدين والمعلمين وكل من يلي العملية التربوية أن ي نبه الناشئة إلى التدبر في آيات الله تعالى من خلال الحوار الهادف الذي يكون المربي قد جمع له المعلومات الكافية حوله، فيحدث مثلاً عن نعمة الصبر وماذا يستفيد من خلالها وفائدة التأمل في ملكوت الله وبالمقابل حرمانه من تلك النعمة، حيث إنه يستخرج به شكر النعم، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: 58). وأن شكر هذه النعم هو سبب دفع المصائب والبلاء عن المسلمين، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الواقعة: 68-70).
- أن يعودوهم أن الاعتراف بشكر النعم هو من توفيق الله سبحانه وتعالى إذ إنه رزقنا بهذه النعم ورزقنا شكرها . فقد بدأ يلاحظ على بعض أبنائنا وبناتنا عدم نسبة الفضل لله سبحانه وتعالى، وإنما نسبته إلى أنفسهم، فإنهم ينسبون نجاحهم وتفوقهم إلى أنفسهم وإلى سهرهم في المذاكرة واجتهادهم، ولم يعلموا أن الذي رزقهم هذه العقول وجعل لهم هذا الإدراك هو الله سبحانه وتعالى.

-تحبيب الناشئة في شكر النعم، وأن هذا يعد استجلاباً للنعم الأخرى ودوام بقاء النعم الحالية، وإن هذا يعتبر من إعلام الله وإعلانه لمن شكره قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ (إبراهيم:7).

- ينبغي على الأبناء أن يفطنوا إلى أنهم موجودون في هذه الدنيا لغاية عظيمة وهي عبادة الله وشكره، وأنهم ليسوا متروكين هملاً . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٧ ﴾ (العنكبوت:17). فقد بدأ يلاحظ على بعض الناشئة لهثهم وراء الأشياء المادية والدنيوية متناسين الغاية من وجودهم.

-ينبغي على الوالدين تربية أبناءهم منذ نعومة أظفارهم بحمد الله عند العطس والرد عليه بتشميته وتعليم آداب العطاس من خفض الصوت ووضع منديل على فيه حتى يتمثل بذلك حمد الله على نعمة إخراج هذه الأبخرة الضارة من الجسم إذ لو بقيت بداخل الرأس لجرة كثير من الأمراض فالحمد لله على هذه النعمة.

-إن يعود الأبناء على شكر الله في حال النعم والصبر على أقدار الله في حال المحن فإن الإنسان لا ينفك في جميع حالاته أن تكون أحد هذه الحالتين وقد بدأ واضح على أبناء هذه الأمة تبرمه من معيشته وعمله وحتى حياته باكملها.

-لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به حال أولها، وذلك بخضوعهم التام لله تعالى، وأخذ ما جاء به النبي ﷺ، وشكر نعم الله، والصبر على ابتلائه، والنظر إلى حال بقية المسلمين في العالم ليعلموا كثرة نعم الله على هذه الأمة عامة وعلى هذا البلد خاصة. فقد بدأ يلاحظ ظهور بعض الأفكار الهدامة بين أبناء

هذه الأمة، وليس ذلك إلا بسبب الفتن والمعاصي التي "أخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: 53)[1].

- أن أنظار المسلمين في العالم متجهة إلى بلد الحرمين، فعلينا شكر الله على هذه النعم، ومواساتهم بما نستطيع، سواء بالقول أي الدعاء، أو بالفعل، سواء كان بالأموال وهي الصدقات، وهذا مبحثنا القادم إن شاء الله.

([1]) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، مرجع سابق، صــ66.

المبحث الثاني

الصدقـــة

من أهم روافد التكافل الاجتماعي الصدقة، ففيها من الخير ما يجعلها سبباً في دخول الإنسان الجنة ومغفرة الله له، فعن عائشة رضي الله عنها : أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال : (أطولكن يداً)، فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يداً، فعلمنا بعد : أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة[1].

وصور الصدقة في الإسلام كثيرة جداً منها الأحاديث التالية:

بعض صور الصدقة من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

وصاحب الحديقة خير مثال يحتذى به في تقسيم النفقة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في جرة[2] فإذا شرجة[3] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته [4]، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال : أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها

([1]) البخاري، مرجع سابق، كتاب الزكاة، حديث رقم (1420)، ص 248.

([2]) حرة: الحرة أرض بها حجارة سوداء كبيرة.

([3]) شرجة: هي مسيل الماء في الجرار.

([4]) بمسحاته: هي آلة من الحديد يجرف بها الطين.

ثلثه) وزاد في رواية أخرى: (قال: وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل)[1].

الحديث الثاني:

فعن النبي ﷺ قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) وأحسبه قال: (وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر) [2].

الحديث الثالث:

وقال أيضاً عن أجر كافل اليتيم : قال رسول الله ﷺ: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة) وأشار مالك بالسبابة والوسطى[3].

الحديث الرابع:

يجب على المسلم أن لا يترك مجالاً من مجالات الخير إلا ويكون سباقاً إليه، فهذا جابر يحكي معاونته لرسول الله ﷺ وإعانته للمسلمين في الحرب، قال: فأتينا العسكر فقال رسول الله ﷺ: (يا جابر ناد بوضوء) فقلت: ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء؟ قال: قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة. وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب[4] له على حمارة[5] من جريد، قال: فقال لي: (انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء؟ قال: فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب[6] منها لو أني أفرغه لشربه يابسه. فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه . قال : (اذهب فائتني به) فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمزه بيديه، ثم أعطانيه فقال: (يا جابر ناد بجفنة [7]) فقلت: يا جفنة الركب .

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم ،حديث رقم 2984، صـــ 2288.

([2]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم 2983 ، صـــ 2287.

([3]) النيسابوري، المرجع السابق، حديث رقم 2982، ص 2286.

([4]) أشجاب: هو السقاء الذي قد خرق وبلى.

([5]) حمارة: هي أعواد تعلق عليها أسقية الماء.

([6]) عزلاء شجب: هي فم القربة.

([7]) بجفنة: أي جفنة الركب التي تشبعهم.

فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: (خذ يا جابر فصب علي وقل: باسم الله) فصببت عليه وقلت: باسم الله. فرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت. فقال: (يا جابر ناد من كان له حاجة بماء) قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رووا، قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى"[1].

في الحديث الأول:

لقد عرف هذا الرجل أهمية الصدقة وما تجلبه من الخير، وعلم كم هو مهم أن توسع على الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم والمساكين الذين ليسوا بأحسن حالاً منهم، والمسافرين الذين جعل الله لهم قسماً من الزكاة المفروضة. فقد قال تعالى في ذلك : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ (التوبة :60). فالصدقة التي هي شكر الله على نعمة هذه الحديقة كانت سبباً لدوام خيرها وزيادة رزقها، وليس هذا فقط، وإنما كل من أسدى لمسلم معروفاً يكون جزاؤه عظيم عند الله تعالى، ومن ذلك القيام على الأرملة سواء كانت غنية أو فقيرة، وكذلك المعين للفقير على فقره، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة في أجر القائم على الأرملة والمسكين.

إن صحابة رسول الله ﷺ لا يستصغرون أجر أي عمل يقومون به، فهذا جابر بن عبد الله يساعد الرسول ﷺ لتوفير الماء للمسلمين في الحرب وسقياهم وتوفير ماء للوضوء به.

وفي ذلك صدقة على المسلمين الذين لم يجدوا ماءً.

الصدقة لغة

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم حديث رقم (3013)، صـــ2308.

تذكر الصدقة ويراد بها عدة أمور:

1 - "الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، قال تعالى : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ (التوبة: 103).

2 - "يقال لما تجافى عنه الإنسان من حقه : تصدق به، نحو قوله: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ ﴾ (المائدة: 4).

3 - "أجري ما يسامح به المعسر مجرى الصدقة " قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ ﴾ (البقرة: 280).

4 - "أمر الصحابة من يناجي الرسول ﷺ منهم أن يقدم صدقة غير مقدرة" قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ﴾ (المجادلة:12).

5 - وتأتي بمعنى مهر المرأة؛ صداق المرأة وصداقها وصدقتها، قال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ ﴾ (النساء:4)[1].

وذكر صاحب كتاب التعريفات أن الصدقة: "هي العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله تعالى"[1].

([1]) الأصفهاني ، مرجع سابق، صـــ 480، صـــ 481.

أما الصدقة في الاصطلاح فهي "ما أعطيته من المال قاصداً به وجه الله تعالى، سواءً ما كان واجباً وهو الزكاة، وما كان تطوعاً"[2]، ولكن لا بد أن يخرج منها الزكاة الواجبة والهبة والهدية والقرض.

مفاهيم ترتبط بالصدقة

ولتحديد المقصود بالصدقة يجب علينا تحديد مفاهيم ترتبط بالصدقة من جهة المسمى وتختلف عنها بسبب الطريقة في إخراجها والنية.

1 - "الزكاة: عبارة عن إيجاب طائفة من المال في م ال مخصوص لمالك مخصوص"[3]، فبهذا تخرج عن الصدقة أنها بدون إيجاب.
2 - الهبة: تمليك العين بلا عوض[4]، وجرت العادة أن تكون في الأشياء الثمينة والنفيسة، والصدقة قد تكون في الأشياء الزهيدة.
3 - الهدية: ما يؤخذ بلا شرط الإعادة[5]، وقد جرت العادة بين الناس أن يتبادلوا الهدايا، ولكن الصدقة لا يوجد فيها رد.
4 - القرض: هو ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضاً [6]، والصدقة لا ينتظر الرد فيها أصلاً.

وترى الباحثة أن الصدقة هي كل تصرف يخرج عن المكلف إلى غيره يراد به وجه الله سبحانه وتعالى بدون إيجاب من الشرع وبدون انتظار لرد من المتصدق عليه. وقد مدح الله الفاعل لها وأنه سوف يرضيه بدخول الجنة . فقد قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ

---

(1) الجرجاني، مرجع سابق، صـــ 111.

(2) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن (د ت) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، جـــ2، صـــ 362، دار الفضيلة، مصر.

(3) الجرجاني، مرجع سابق، صـــ97 .

(4) الجرجاني، المرجع السابق، صـــ 197.

(5) الجرجاني، المرجع السابق، صـــ 197.

(6) الأصفهاني، مرجع سابق، صـــ 666.

رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ (الليل:14 – 21).

أي "سيزحزح عن النار التقي النقي الذي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من الدين والدنيا، وليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، ويقرر الله برضاه: ولسوف يرضى"[1].

ويجب على الإنسان أن يتحرى بالصدقة التقرب إلى الله تعالى؛ لأن ذلك يعود بالخير على نفسه أولاً، قال تعالى : ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ (البقرة: 272).

وقال تعالى : ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإنسان:8–9).

وقد توعد الله بمضاعفة الأجر للمتصدق إذا كان خالصاً لوجه الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (البقرة: 261).

شروط الصدقة

وحتى يقع أجر الصدقة كما يرجوه الإنسان فإن الإسلام اشترط فيها عدة شروط:

1 –وجوب إخلاص النية لله تعالى، قال عز وجل : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾ (البقرة: 272).

([1]) ابن كثير، مرجع سابق، صـــ 2041، جـــ4.

2 - أن تكون من كسب طيب وتكون من أجود ماله، بحيث إنه لو قدم له ذلك لقبله، وحتى يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ (البقرة: 267).

3 - "عدم إتباع الصدقة بالمن والأذى، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ (البقرة: 264). والمقصود بالمن الذي نهى الله عنه بأن يتحدث المعطي بعطائه أمام من أعطاه أو أمام غيره من الناس، إشعاراً بالتفضل عليه لما فيه من كسر لقلب آخذ العطاء، وإهانة لكرامته"، وأن يبتعد عن بعض صور الأذى التي منها: "إشعار الآخذ بنزول مكانته، أو إهانته عند عطائه، أو الاستعلاء عليه والاستكبار، أو تسخيره بالأعمال المذلة له"[1].

4 - إخفاء الصدقة؛ لأن الله مدح ذلك فيكون فيها زيادة مزية، قال تعالى : ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ ﴾ (البقرة: 271).

5 - أن يتوخى المسلم في اختيار صاحب صدقته أن يكون "صائناً لفقره، وأن يكون ذا عائلة ومحبوساً لمرض أو دين، وإذ اجتمع وكان من الأقارب وذوي الأرحام فيكون في إعطائهم خير" [2].

المبادئ التربوية المستنبطة من خلال الأحاديث الدالة على الصدقة

---

(1) الميداني ، مرجع سابق، جـ2، صـ 420.

(2) المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين، مرجع سابق، صـ 37 باختصار.

1. إن في مشروعية الصدقة تكافل اجتماعي عظيم لأبناء الأمة الإسلامية، فيساعد على ربط المجتمع بروابط الألفة والمحبة، وتبعد عنه الشحناء والفرقة التي تكون بسبب تعدد الطبقات في المجتمع . فقد بدأ يلاحظ كثرة الحسد بين بعض أبناء المجتمع أو المدينة أو القرية الواحدة، وكذلك فإنها تدفع البلاء والأذى عن المتصدق فقد قال ابن القيم: "إن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كفار، فإن الله يدفع عنه بها أنواعاً من البلاء"[1].
2. تعريف الأبناء بالصدقة من خلال ذكر الآيات الدالة على استحبابها، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ (البقرة :274).
وتخصيص بعض جلسات الأسرة في قص بعض القصص التي تبين فضل الصدقة وما يتبعها من منافع مثل قصة الرجل الذي بفلاة من الأرض وأجر صدقته التي سببت له نزول المطر وسقي حديقته، وأن يحرص الآباء على تعزيز ذلك بأن يجعل الأبناء هم الذين يوصلون الصدقات إلى المنازل أو الأشخاص الذين يراد التصدق عليهم ومكافأة الأبناء الذين يسارعون إلى توصيل الصدقات حتى يحببهم فيها.
3. توضيح مكانة الصدقة وأن لها باباً خاصاً يدعى صاحبها به، وتعتبر م ن أفضل ما يكفر به الخطايا، ويجبر به نقص الأعمال والعبادات، قال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (1428هـ) الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق رضى فرج الهمامي صـ 41، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦ ﴾ (البقرة: 196). وأنها تعتبر خير ما يهدي إلى الميت ويربيها الله عنده، فقد روى الصحابة " أن سعد بن عبادة قال : إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال : (نعم) قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها"[1].

4. وتعتبر طُهرة لنفس المسلم وتزكية لها، قال تعالى : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ (التوبة:103). وإن فضلها عظيم وملموس في التوسيع على مخرجها في رزقه وجميع أعماله، فقد قال ﷺ: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً)[2].
5. وتوضح أهميتها في اقتصاد البلاد وأن من فوائدها تدوير الأموال في أيدي جميع طبقات الشعب.
6. أن يربي الأبناء على الصدقة، وذلك مثلاً بإنشاء صندوق في المنزل يسمى صندوق الصدقات يضع فيه كل من يخطئ خطأ أو يذنب ذنباً مقداراً من المال، فبذلك يدربون على الصدقة ومحاسبة أنفسهم على الأخطاء التي يرتكبونها.

([1]) البخاري، مرجع سابق، كتاب الوصايا رقم الحديث 2756 – صـــ 486 .

([2]) البخاري، المرجع السابق، حديث رقم 1442، صـــ251.

7. أن على المسلم أن يعلم أبناءه عدم استصغار أي معروف يقومون به أو يسدونه للناس، وأن لا يجازي بالمثل على أفعال الناس، وبالمقابل يزهدهم فيما ينفقونه في سبيل الله حتى لا تتعاظم عليهم أنفسهم ويتسلل إليهم الكبر والفخر.
8. ذكر أسهل أنواع الصدقة للأبناء، وأن ذلك يكون بتسبيح وتهليل، فقد قال رسول الله ﷺ: (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار)[1].
9. وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى أن عدد أنواع الصدقة حتى تكون بالذكر الذي هو أسهل شيء على اللسان، ويتوصل به إلى حفظه عن جميع المنزلقات التي تهوي به في النار والعياذ بالله، وهذا هو مبحثنا القادم إن شاء الله ألا وهو حفظ اللسان.

([1]) النووي، شرح صحيح مسلم حديث رقم (1007) كتاب الزكاة، جـ7، صـ 97.

المبحث الرابع

حفــظ اللســـان

من عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى أن جعل الإ نسان ناطقاً متكلماً، وجعل له عقلاً حتى يعقل ما يقول، إن كان خيراً أتمه، وإن كان شراً صمت عنه، وشرور اللسان كثيرة منها: "التحدث فيما لا يعنيك، وفضول الكلام، والخوض في الباطل، والمراء والجدال والخصومة، وتكلف السجع والفصاحة والتصنع في المقدمات، والفحش والسب وبذاءة اللسان واللعن، والغناء والشعر والمزاح، والسخرية، والاستهزاء، وإفشاء السر، والوعد الكاذب، والكذب في القول، ويستثنى من ذلك بعض الحالات، والغيبة والنميمة، وأيضاً كلام ذي اللسانين، والمدح والغفلة عن دقائق الخطأ، وسؤال العوام عن صفات الله والكلام فيها[1].

وبسبب هذا الخطر العظيم المحدق بالمسلم فقد ألف علماء المسلمين في خطر اللسان الشيء الكثير، ومن ذلك الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد أسهب في ذلك، وكذلك الكاتب سعيد بن وهف القحطاني في كتابه آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، وكذلك كتاب الصمت لابن أبي الدنيا، أما بعض العلماء فقد أفرد له فصولاً في كتبه مثل الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين.

أما مبحثنا الذي نحن بصدده فسوف نتكلم إن شاء الله تعالى عن بعض هذه الأمور مما ورد من الأحاديث التي جاء فيها حفظ اللسان بالتصريح أو بالكناية في كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم، وهي إما أن تكون من الخوض في الباطل أو في الفحش وبذاءة اللسان أو في المدح أو في إفشاء السر.

([1]) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ3، صـ121– 173. باختصار.

بعض صور حفظ اللسان من كتاب الزهد والرقائق للإمام مسلم

الحديث الأول:

وبذلك بلغ رسول الله ﷺ، فقد ورد عن أبي هريرة أنه سمع الرسول ﷺ يقول: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)، وجاء في رواية: (ما يتبين ما فيها يهوي)(1).

الحديث الثاني:

ومن باب أولى أن يحفظ المسلم سر نفسه وهو ما نسميه ستر نفسه؛ وقد نهى الرسول ﷺ عن هتك المسلم ستر نفسه، فقد قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل أمتي معافا إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه فيقول : يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه) قال زهير: (وإن من الهجار)(2).

الحديث الثالث:

ولشدة حرص الرسول ﷺ على أمته لم ينههم فقط عن ما يكون فيه شر، ولكن احترز بهم عن ما يراه العامة أنه خير، ومن ذلك المدح: فعن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده رجل، فقال رجل: يا رسول الله ما من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل منه في كذا وكذا. فقال النبي ﷺ: (ويحك قطعت عنق صاحبك) مراراً، يقول ذلك، ثم قال الرسول ﷺ: (إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً إن كان يرى أنه كذلك، ولا أزكي على الله أحداً)(3)

وجاء في رواية أخرى عن أبي موسى، قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال : (لقد أهلكتم، أو قطعتم ظهر

---

(1) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم (2988) ، صـــ 2290.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق، حديث رقم 2990، صـــ 2291.

(3) النيسابوري، صحيح مسلم حديث، المرجع السابق، رقم 3000 – 3001 (66) ، صـــ 2296.

الرجل)[1].

الحديث الرابع:

ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك، وإنما أرشدهم إلى عملٍ أشد وقعاً على النفوس من ذلك فقد جاء في الحديث عن همام بن الحارث "أن رجلاً جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟! فقال : إن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)، وفي رواية قام رجل يثني على أمير من الأمراء"[2].

في الحديث الأول يحذر الرسول ﷺ من الخوض في الباطل، وهو كما عرفه الغزالي: "الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس ال خمر ومقامات العشاق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك"[3]، أو كالكلمة عن السلطان وغيره من الولاة، أو بإظهار الشعر الجارح للحياء، أو المزاح المحرم، كما قال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (التوبة: 64-66).

وليعلم المسلم أن سبب الخوض في الباطل إنما هو "الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها"[4].

---

(1) النيسابوري، صحيح مسلم ، حديث رقم 3000(66) ، صـ 2296 ، حديث رقم 3001.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق، حديث رقم (3002) رقم 69 ، صـ 2297.

(3) الغزالي، مرجع سابق، جـ3، صـ 125.

(4) الغزالي ، المرجع السابق، جـ3، صـ 123.

وعلى الإنسان كما يحفظ لسانه عن الغرباء أن يكفه عن الأصدقاء، وذلك ما يحدث كثيراً بواسطة إفشاء الأسرار، وقد نهى النبي ﷺ عنه "لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء"[1].

أما الحديث الثاني قال ابن بطال في ذلك : "يعتبر استخفافاً بحق الله ورسوله و بصالحي المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد ، ومن التعزير إن لم يوجب فيها حداً، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك"[2].

وقد يُقترف بالمعصية أيضاً معصية أخرى وهي بذاءة اللسان والفحش، وهو "التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، بينما أهل الصلاح والإيمان يكنون عنها"[3].

فينبغي للمؤمن أن يكون فطناً مراقباً للفظاته وسكناته وحركاته، وليعلم أن السلامة في السكوت، وأن ما فضل عن كلامه كان عليه لا له . فقد "روى الخلال عن عطاء: كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك بما لابد لك منه"[4]

لقد سمى النبي ﷺ المدح هلاكاً لأن ذلك ممكن أن "يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان، أو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفس ه، ومن أعجب بنفسه قل تشميره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً، فقد قال عمر رضي الله عنه:

([1]) الغزالي، مرجع سابق، صـــ 141.

([2]) العسقلاني، مرجع سابق، جــ10، صـــ 487.

([3]) الغزالي : مرجع سابق، صـــ 131.

(4) الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (1419هــ) الآداب الشرعية والمنح المرعيه. جــ1، صـــ 62. ط3، تحقيق شعيب الارنؤوط، عمر الخيام، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المدح هو الذبح. وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور"(1)

وقد نهى النبي ﷺ عن المدح ليس فقط للأسباب السابقة ولأن فيه أيضاً خوفاً على المادح لما يلحقه فمن ذلك:

1 -"أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب.
2 -أنه قد يدخله الرياء، فإنه بالمدح مظهر للحب،وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرائياً منافقاً.
3 -أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.
4 -أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فـاسق، وذلك غير جائز، قال الحسن: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه، والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح"(2).

مع التنبيه إلى أن هذا الرجل قد مدح النبي ﷺ أولاً ولم يزجره النبي ﷺ عن ذلك، وطريق الجمع بين ذلك "أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشاطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحباً، والله أعلم"(3).

وأرشد الرسول ﷺ صحابته إلى خُلق رفيع استبدل به المدح المذموم، ومن ذلك قول المسلم إذ أراد مدح صاحبه أن يقول: "أحسب وأظن فلاناً أنه رجل صلاح وتقوى،

---

(1) الغزالي، مرجع سابق، جـ3، صـ 170.
(2) الغزالي، المرجع السابق، صـ 169 – 170.
(3) النووي، مرجع سابق، ج 18، صـ 336-337.

وذلك لوجود الظاهر المقتضي لذلك، ولا أقطع على عاقبة أحد ولا ضميره؛ لأن ذلك مغيب عنّا"[1].

فيجب على الإنسان أن يتواضع إذا جاءه من يمدحه، فهذا علي رضي الله عنه عندما أثنى عليه قال: "اللهم اغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون"[2].

وبناءً على ما جاء من أحاديث لابد أولاً من التعريف باللسان وكيفية حفظه من جميع ما سبق:

أولاً: تعريف (الحفظ)

حفظ: "حفظ الشيء بالكسر حِفظه حرسه، وحفظه أيضاً استظهره، والمحافظة المراقبة"[3].

وقال صاحب اللسان: "حفظ: الحفيظ من صفات الله عز وجل، لا يعز عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة في السموات والأرض، وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير وشر، وقد حفظ السموات والأرض بقدرته : ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ وفي التنزيل العزيز ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾.

وقد بين أن "الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة، وأنه لحافظ العين أي لا يغلبه النوم؛ لأن العين تحفظ صاحبها إذا لم يغلبها النوم.

ورجل حافظ وقوم حفَّاظ وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئاً يعونه، والحافظ والحفيظ الموكل بالشيء يحفظه، والحفظة : الذين يحصون الأعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة، وفي التنزيل: ﴿وإن عليكم لحافظين﴾" [4] .

---

(1) النووي، مرجع سابق، ج 18، صـــ 337.

(2) الغزالي مرجع سابق، صـــ 171.

(3) الرازي، مرجع سابق، جـــ1، صـــ 61.

(4) ابن منظور، مرجع سابق، صـــ 441، جـــ7.

وقد ذكر الأصفهاني "﴿ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء:34) أي يحفظن عهد الأزواج عند غيبتهن بسبب أن الله تعالى يحفظهن: أي يطلع عليهن، وقرئ: (بما حفظ الله) بالنصب، أي بسبب رعايتهن حق الله تعالى لا لرياء أو تصنع منهن"[1].

أما اللسان في اللغة

"اللسان يذكر ويؤنث، يقال: إن لسان الناس عليك لحسنه حسن، أي ثناؤهم، واللسان الثناء، وقوله عز وجل: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ معناه أي اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر واللسن بكسر اللام اللغة، واللسان الرسالة، ولكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها، ويقال: رجل لسن بين اللسن إذا كان ذا بيان وفصاحة، والإلسان: إبلاغ الرسالة، واللسن الكلام، ولاسنه ناطقه، ولسنه يلسنه لسناً كان أجود لساناً منه"[2].

وقد ذكر أن "اللسان: الجارحة وقوتها[3]، وقوله : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ (طه:27)".

وترى الباحثة أن حفظ اللسان هو تعاهد ورعاية جارحة الكلام بعدم الخوض والسقوط فيما يتأذى منه الناس في حياتهم إذا وصل إلى مسامعهم، ولا يتأذى صاحبه ولا يشقى به أمام الله سبحانه وتعالى إذا كتب في صحائف أعماله.

الفرق بين السكوت والصمت

وإذا تعاهد الإنسان كلامه فإنه ينتج عن ذلك حالة تسمى الصمت أو السكوت عن الأمور التي لا يخوض ولا يتكلم بها . والفرق بين السكوت والصمت كما ذكره الكفوي:

---

(1) الأصفهاني ، مرجع سابق، صـــ 245.

(2) ابن منظور، مرجع سابق، جـــ13، صـــ 386.

(3) الأصفهاني، مرجع سابق، صـــ 740.

1 -"السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت؛ فإن القدرة على التكلم غير معتبرة فيه.

2 -ومن ضم شفتيه آناً يكون ساكتاً ولا يكون صامتاً، إلا إذا طالت مدة الضم.

3 -والسكوت إمساك عن قول الحق والباطل، والصمت إمساك عن قول الباطل دون الحق"(1).

وعكس حالة السكوت والصمت هو الكلام أو ما أشار إليه ابن قيم الجوزية : "اللفظات فقال: حفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة . بل لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه. فإن أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر : هل تفوته بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه"(2).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ الإنسان كلامه ولفظاته، فقال تعالى : ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق:17-18).

شروط الكلام

وإذا أراد الإنسان أن يسلم لسانه من الزلل وأن يتعرى من النقص فلابد أن يتوفر في كلامه أربعة شروط:

"**الشرط الأول:** أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضر.

الشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.

الشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

---

(1) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني (1419هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، صـ 429.

(2) ابن قيم الجوزيه، الجواب الكافي، مرجع سابق، صـ 139.

الشرط الرابع : اختيار اللفظ الذي يتكلم به"[1].

فإذا حافظ الإنسان على هذه الشروط أصبح كلامه قصداً جزلاً، وتظهر مميزات شخصيته بقلة حديثه.

آداب الكلام

وذكر الماوردي من آداب الكلام التي يجب إتباعها:

1 - "أن لا يتجاوز في مدح ولا يسرف في ذم، وإن كانت النزاهة عن الذم كرماً.

2 - أن لا تبعثه الرغبة والرهبة في وعد أو وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما.

3 - أن يتحرى إذا قال قولاً حققه بفعله، وإذا تكلم بكلام صدقه بعمله.

4 - أن يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده وأغراضه، فإن كان ترغيباً قرنه باللين واللطف، وإن كان ترهيباً خلطه بالخشونة والعنف.

5 - ألا يرفع بكلامه صوتاً مستكرهاً، ولا ينزعج له انزعاجاً مستهجناً.

6 - أن يتجافى هجر القول ومستقبح الكلام، وليعدل إلى الكناية عما يستقبح صريحه ويستهجن فصيحه ليبلغ الغرض، ولسانه نزه، وأدبه مصون.

7 - أن يجتنب أمثال العامة الغوغاء، ويتخصص بأمثال العلماء الأدباء"[2].

المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث الدالة على حفظ اللسان

يجب تعليم الناشئة مهارات الصمت وحفظ اللسان عن طريق إضافتها إلى مناهج السلوك في التعليم العام، مع محاولة تصحيح فلتات ألسنتهم وذلك من خلال طريقين:

الاعتناء بطريقة الحديث أمام الأبناء وتوخي آداب الكلام.

---

(1) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (1398هـ) أدب الدنيا والدين، ط4، حققه مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان صـ 266.

(2) الماوردي، المرجع السابق، أدب الدنيا والدين ، صـ272 إلى صـ 275.

ضرب أمثلة أو مواقف من الحياة أو قراءة الكتب المفيدة للتدريب على حسن البديهة والرد السريع في مواقف الحياة المختلفة، فقد بدأ يلاحظ على بعض الناشئة تلعثمه في الرد على المواقف التي تصادفه في حياته العامة، مما يجعله يفضل الانطواء على الحياة الاجتماعية، ومن ذلك تعليمه طريقة المعاريض مع الحرص على عدم الإكثار منها.

أن يوضح الآباء والأمهات الفوائد التي يجنيها الإنسان إذا التزم بتعهد لسانه وحفظه دائماً من الوقوع في الزلل، ولأهمية تعاهده قال عنه بعض البلغاء : "الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مئونة الاعتذار"[1].

على المسلم مراعاة الصمت والأخذ بحظ وافر منه، وأن نعلم أبناءنا على الصمت كما نعلمهم الكلام والنطق، وأن نجازيهم عند صمتهم على ما ينبغي كما نجازيهم ونثيبهم عندما يتكلمون في مواطن الكلام، ويجب علينا مراعاة الكلام معهم أن يكون حقاً لأنهم يتعلمون بالمحاكاة.

وقد جعل النبي ﷺ لحفظه وحسن صيانته أجراً عظيماً فقال ﷺ: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)[2].

لابد لمن يلي العملية التربوية أن يبين للناشئة البدائل التي يجب أن يتحدث فيها ويصرف همه إليها، فمن ذلك ما وضحه الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (النساء: 114).

(1) الماوردي، مرجع سابق، أدب الدنيا والدين، صــ 265.

(2) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق كتاب الرقائق، حديث رقم 6474، صــ1157.

أن يوضح للأبناء المحرمات اللغوية، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾(الحجرات: 12).

مع بيان الحالات التي يستثنى منها ذلك:

1- التظلم: قال تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ ﴾ (النساء: 148).

1 -الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهاج الصلاح، ومن ذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل عاقر الخمر في الشام كتب إليه : ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ (غافر : 1-3). فتاب أبا جندل عن معاقرة الخمر.

2 -الاستفتاء: ومن ذلك أن خنساء بنت خذام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت الرسول ﷺ فرد نكاحه[1].

3 -في تحذير المسلم من الشر.

4 -أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرف به كالأعرج والأعمش،وإن استطاع العدول عن اسم النقص إلى غيره كان أحسن، ومن ذلك قول البصير للأعمى.

5 -أن يكون مجاهراً بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر فإنه لا يعبأ له [2].

وينبغي على المغتاب أن يكفر عن أخطائه، وخطؤه متعلق بأمرين:

([1]) صحيح البخاري، مرجع سابق ، كتاب النكاح ، حديث رقم 5138، صـــ945.

([2]) الغزالي ، مرجع سابق، صـــ 161- 162، جـــ3، باختصار.

الأول: هو حق الله سبحانه وتعالى وتكون كفارته بالتوبة والإنابة إلى الله وعدم الرجوع إلى ذكر أعراض الناس .

الثاني: هو حق الإنسان الذي اغتابه وتكفير غيبتك يكون بـــ:

- الاعتراف له بما خضت فيه من عرضه، فإن كان ذلك مما يزيد العداوة.
- فعليه الاستغفار والدعاء له.

المبحث الخامس

الاهتمـــام بالعلـــم

إن خير ما تعاهد الإنسان نفسه به تعلم الأدب، ويعتبر الأدب والعلم وجهان لعملة واحدة فإن الأدب والعمل النافع يظهر أثره واضحاً جلياً على الأفراد المكتسبين له فإنهم قد اكتسوا بنور الله سبحانه وتعالى الذي يهدي به من يشاء من عبادة ويرفع الله بالعلم أقواماً ويضع به آخرين قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ (المجادلة: 11).

ولم يخصهم الله بهذه المنزلة إلا لما في قلوبهم وعقولهم من العلم، وما نالوا هذه المنزلة إلا بحرصهم واهتمامهم به.

صور من تعليم النبي لأمته من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

فعن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ – قال همام أحسبه قال متعمداً – فليتبوأ مقعده من النار)[1].

الحديث الثاني:

وممن جلس للتحديث أبو هريرة، فقد جاء عن مسلم: "كان أبو هريرة يحدث ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة، وعائشة تصلي، فلما قضت صلاتها قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفاً، إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه"[2].

([1]) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم (3004)، صـــ2299.

([2]) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق، حديث رقم(2493)، صـــ2298.

الحديث الثالث:

جاء في حديث جابر سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كانت عشيشة ودنونا من ماء من مياه العرب قال رسول الله ﷺ: (من رجل يتقدمنا فيمدر[1] الحوض فيشرب ويسقينا) قال جابر : فقمت فقلت : هذا رجل يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: (أي رجل مع جابر) فقام جبار بن صخر، فانطلقنا إلى البئر فنزعنا في الحوض سجلاً أو سجلين ثم مدرناه ثم نزعنا [2] فيه حتى أفهقناه[3]، فكان أول طالع علينا رسول الله ﷺ فقال: (أتأذنان؟) فقلنا نعم يا رسول الله فأشرع ناقته فشربت شنق [4] لها فشجت[5] فبالت، ثم عدل بها فأناخها ثم جاء رسول الله إلى الحوض فتوضأ منه، ثم قمت فتوضأت من متوضأ رسول الله ﷺ، فذهب جبار بن صخر يقضي حاجته فقام رسول الله ﷺ ليصلي، وكانت علي بردة ذهبت أن أخالف بين طرفيها فلم تبلغ لي، وكانت لها ذباذب[6] فنكستها ثم خالفت بين طرفيها ثم تواقصت[7] عليها ثم جئت حتى قمت عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ بيدي فأدارني حتى أقامني عن يمينه، ثم جاء جبار بن صخر فتوضأ ثم جاء فقام عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ بأيدينا جميعاً فدفعنا حتى أقامنا خلفه، فجعل رسول الله ﷺ يرمقني وأنا لا أشعر ثم فطنت به، فقال: هكذا بيده يعني شد وسطك، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: (يا جابر) قلت: لبيك يا رسول الله. قال: (إذا كان واسعاً فخالف بين طرفيه، وإذا كان ضيقاً فاشدده على حقوك[8])[9].

في الحديث الأول:

([1]) يمدر: أي يطينه ويصلحه.

([2]) فنزعنا في الحوض: أي أخذنا وجذبنا الدلو المملوء.

([3]) أفهقناه: ملأناه.

([4]) شنق لها: أي جذب زمامها حتى تقارب رأسها قادمة الرحل.

([5]) شجت: إذا شج البعير بين رجليه للبول.

([6]) ذباذب: أي أهداب وأطراف.

([7]) تواقصت عليها: أي أمسكت عليها بعنقي وحنيته عليها لئلا تسقط.

([8]) حقوك: هو معقد الأزرار والمراد هنا أن يبلغ السرة.

([9]) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (3010) من حديث جابر الطويل.صــ2306.

لا يتم التوصل إلى العلوم إلا بحفظها في الصدور وكتابتها في السطور، وهذا ما أمر به الرسول ﷺ صحابته.

قال تعالى محذراً من الخيانة مع العلم بها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنفال: 27).

"ويوضح القاضي أنه كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثيرون، وأجازها أكثرهم، ثم أجمع المسلمون على جوازها، وقيل : إن النهي الوارد جاء في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتا بة إذا كتب، ويحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث: (اكتبوا لأبي شاه) (1)

في الحديث الثاني:

وقد جلس الصحابة للتحديث وقد أكثر بعضهم في رواية الحديث، ولكن ذلك "يحمل على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت، أو طالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان"[2].

وقد أنكرت عائشه رضي الله عنها الإكثار من الرواية في المجلس الواحد لخوفها أن يحصل بسببه سهو ونحوه؛ لأن النبي ﷺ كان قليل الكلام كثير الصمت، ولقلة كلامه فإن الإنسان لو أراد أن يعد كلامه لعده"[3].

فهذا وأمثاله من حرص الرعيل الأول على التثبت في العلم، وخير علم بعد كتاب الله هو سنة رسوله ﷺ.

ويعتبر العلم النافع كل ما أصلح حال الإنسان وغيره من حالة إلى حالة خيرٍ منها، ومن ذلك تعليم النبي لصحابته بعض أمور دينهم ودنياهم.

وفي الحديث الثالث يعلم النبي ﷺ الصحابيين أموراً عظيمة ليست فقط لهما، وإنما أيضاً لهذه الأمة؛ لأن شريعته السمحاء جاءت عامة لجميع الخلق.

([1]) النووي، مرجع سابق، جـ 18، صـ 339.

([2]) العسقلاني، مرجع سابق، صـ 201، جـ1.

([3]) النووي، مرجع سابق، صـ 339 ، بتصرف ، جـ18.

فمنها:

1 -" تعليمه لأمته الآداب الشرعية والورع والاحتياط، فمن احتياطه أنه أرسل اثنين لإصلاح حوض ماء يشربون منه ثم استئذانه في مثل هذا الموقف، وإن كان يعلم أنهما سوف يأذنان له.

2 - دلي لجواز الوضوء من الماء الذي شربت منه الإبل ونحوها من الحيوانات الطاهرة، وأنه لا كراهة فيه.

3 -جواز العمل اليسير في الصلاة وأنه لا يكره إذا كان لحاجة، فإن لم يكن لحاجة كره.

4 -إن المأموم إذا كان واحداً وقف عن يمين الإمام، وإذا كانا اثنين وقفا صفاً خلف الإمام.

5 -جواز الصلاة في ثوب واحد، وأنه إذا شد المئزر وصلى فيه وهو ساتر ما بين سرته وركبته صحت صلاته، وإن كانت عورته ترى من أسفله لو كان على سطح ونحوه، فإن هذا لا يضره"[1].

6 -المحافظة على الصلوات حضراً وسفراً.

7 -الرد على النداء بعبارات طيبة لينة فيها بشاشة كقوله: (لبيك يا رسول الله).

فلنتعرف على العلم أولاً وكيف يكون الاهتمام به:

العلم في اللغة

"علمه كسمعه علماً بالكسر عرفه، والأمر أتقنه، كتعلمه، والتعلامه العالم جداً أو النسابة، وعالمه فعلمه غلبه علماً وعلم به"[2].

وقد جاء في اللسان أن "علم من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام، قال تعالى: (وهو الخلاق العليم). فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه وبما يكون ولما لم يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا

([1]) النووي، مرجع سابق ، صـ 348- صـ 350.

([2]) الفيروز آبادي، مرجع سابق، صـ 1472.

يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان . ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علماً من العلوم: عليم"[1].

وذكر الراغب بأن "العلم هو: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان : أحدهما إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء، بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه، والعلم من وجه ضربان : نظري وعملي، ومن وجه آخر ضربان : عقلي وسمعي.

وأعلمته وعلمته الأصل واحد؛ إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم، فعن التعليم قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (النمل :16)

العلم اصطلاحاً:

وتعددت الأقوال عند الجرجاني عن العلم فمنها:

1 –"هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

2 –قال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل.

3 –وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه"[2].

وبالعلم يصلح حال الناس، ومن ذلك : "قال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم: أي أنهم بالتعلم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية.

ولأهمية العلم كانت له مراتب، وهي كما قيل : أول العلم الصمت، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم نشره"[1].

([1]) ابن منظور، جـ12، صـ 416.

([2]) الجرجاني ، مرجع سابق، صـ 126– 127.

أنواع العلوم

ويجب علينا معرفة العلوم التي ينبغي نشرها، وهي:

1 -"فالواجب معرفتها وهي الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، وهو فرض عين. أي يجب ويتعين على كل مسلم معرفتها حتى يقوم بأمور دينه.

2 -ما كان فرض كفاية أي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، مثل تعلم الحياكة والحجامة وصناعة الطب.

3 -ومنها ما يكون مباحاً كعلم الشعر وتعلم أنواع الرياضات .

4 -ومنها ما يكون محرماً مثل السحر والشعوذة" [2].

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ (البقرة: 102).

وخير العلم وأفضله وأجله ما كان متصلاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن الأشياء يعلو قدرها وينخفض بسبب اتصالها بالغايات، وعلم الكتاب والسنة غايته معرفة وحدانية الله وعبادته لما فيها من خلاص الإنسان من درك الشقاء ودخوله جنات النعيم، ولعلو العلم ومنزلته كان من صفات الله المطلقة.

قال تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩ ﴾ (المائدة: 109).

([1]) الغزالي، مرجع سابق، صـــ 22، جـــ1.

([2]) المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين، مرجع سابق، صـــ (12-13-14).

وقال تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف:76).

وتفرد سبحانه بعلمه المغيبات، وهي كما جاءت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان: 34).

ولأهمية العلم فقد حباه الله أنبياءه وصفوته من خلقه ، فقال تعالى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:151).

وجعل الله تعالى لمن يطلب العلم ويهتم به منزلة عظيمة:

قال عنه معاذ رضي الله عنه : "تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله قربة، وتعليمه من لا يعلمه صدقة"(1).

وترى الباحثة أن الاهتمام بالعلم:

هو أن يبذل المسلم غاية جهده ووسعه وطاقته في تحصيل ما ينفعه من أنواع العلوم والمعارف والمهارات المبثوثة في دنياه، ويحصد أجرها في آخرته، مع اصطحاب ذلك جميعاً بالنية الصادقة لله تعالى، ويجب على المسلم أن يتحرى بنفسه أن يكون أحد ثلاثة نفر: إما عالم أو متعلم أو مستمع للعلم، ولا يكون هملاً بلا غاية، فينزل من رتبة الإنسانية التي حباه الله بها، وأن يهيئ نفسه بأن يكون مستقبلاً للتعليم والحفظ وكتابة هذا العلم وتقييده حتى يستفيد منه هو ومن يخلفه بعد ذلك.

المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث الدالة على الاهتمام بالعلم

---

(1) الكناني، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (1354هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت. صـ 11.

على الوالدين شحذ همم الأبناء إلى التعليم وتحصيله في صغرهم كما كان الحسن بن علي يحظ أبناءه وأبناء أخيه فيقول لهم : "تعلموا العلم فإنكم صغار قوم تكونون كبارهم غداً فمن لم يحفظ منكم فليكتب"[1]. لأنه بدأ يلاحظ تسرب بعض الطلاب من مراحل التعليم العام، وذلك مما يسبب مشاكل كثيرة للمجتمع هو في غنى عنها مقارنة مع من يرتقي في تحصيل العلم، ويكون عضواً نافعاً وفاعلاً في المجتمع.

على كل من يلي العملية التربوية رفع ثقافة العلم المهني بجانب العلم، فقد بدأ يلاحظ عزوف بعض الشباب عن العمل اليدوي وتفضيلهم للبطالة بسبب النظرة الدونية للأعمال المهنية.

على بعض المعلمين تحسين أدائهم الوظيفي، وتجديد معارفهم عن طريق الدورات التدريبية، وعن طريق قراءة الكتب المفيدة في تخصصهم، وأن يجددوا وسائلهم التعليمية، وأن يزودوا أنفسهم ببعض الكتب التي تحوي قصصاً أو طرفاً أو ألغازاً مفيدة حتى يغيروا من أجواء الدراسة التي تتسم بالجدية واستحضار الذهن لفترات طويلة، وفي ذلك قال علي رضي الله عنه : "إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاهدوا إليها طرائف الحكمة"[2]، ويمكنهم أيضاً الاستفادة من المخترعات الحديثة من كمبيوتر وإنترنت، ولكن لابد أن تكون لديه قاعدة ثقافية حتى يستطيع تمييز الطيب من الخبيث.

أن يحرص الآباء والأمهات على تزويد أبنائهم بالعلوم الشرعية، والحرص على فهمها الفهم السليم الذي يمكنهم من التطبيق الصحيح للأوامر والنواهي، فقد بدأ يلاحظ على بعض الناشئة التطبيق الخاطئ لبعض الأوامر الدينية، مما يخشى عليهم في المستقبل بعدهم عن الشريعة الإسلامية الصحيحة لا قدر الله.

ونلاحظ من بعض الآباء – هداهم الله – أنه إذا أراد أحد أبنائه أن يحصل العلوم الشرعية يغضب ويقول بأنها ليس لها مستقبل في عملية التوظيف، أين هو من قول رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[3].

---

(1) عبد البر، أبو عمر يوسف (1427هـ) جامع بيان العلم وفضله، ط7، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، جـ1، صـ 304، دار ابن الجوزي ، الدمام، المملكة العربية السعودية، وذكر ابن عبد البر أن إسناده ضعيف وهو صحيح عنه.

(2) الماوردي، مرجع سابق، أدب الدنيا والدين، صـ 18.

(3) البخاري، مرجع سابق، حديث رقم 71 صـ32.

يجب أن نربي أبناءنا على إرجاع الفضل لله سبحانه وتعالى في تحصيلهم العلمي قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: 282). والتواضع لله. وأن نعرض على الأبناء رد الملائكة عندما سُئلت كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (البقرة:31 – 32).

أن يعود الأبناء على إخراج زكاة العلم حتى يبارك لهم علمهم، فمن ذلك:

1) نشر العلم يعتبر نشراً لدين الله.

2) في نشر العلم حفظ لشريعة الله وحماية لها.

3) في نشر العلم زيادة لأنه استذكار لما حفظ وانفتاح لما لا يحفظ.

4) فيه إحسان لمن علمته [(1)].

يجب أن ينتبه الأبناء إلى أن العلم النافع لا يحصل له إلا إذا أخلص المسلم نيته لله، وابتعد عن الذنوب، فإنها حجابٌ غليظ بين العلم وقلب طالب العلم، فقد قال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نـــــورٌ ... ونور الله لا يُهدى لعاصي[(2)]

([1]) العثيمين، محمد بن صالح (1420هـ) كتاب العلم، صـ249 – 205.

([2]) الشافعي، مرجع سابق، قافية الصاد، صـ106.

المبحث الأول

فضل بناء المساجد

إن خير ما يفعله المسلم بعد الإيمان بالله تعالى وبمحمد ﷺ نبيناً ورسولاً هو أن يتزود بالأعمال الصالحة، وهي على طريقين: إما أنها تنتهي بمجرد القيام بها، وإما أن تكون كالنهر المتدفق الذي لا ينضب، وفي طريقه يسقي كل الناس، أي أنه مستمر حتى بعد الممات، ومن منا لا يريد أن تكون أعماله التي يقوم بها على هذه الشاكلة؟ فنسأل الله تعالى أن يجعل لنا الحظ الوافر من كلا الطريقتين.

وقد أوضح الرسول ﷺ بعض هذه الروافد الدائمة فقال ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقه جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[1].

ذكر الإمام النووي قول العلماء في ذلك: "أن معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها : فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف"[2].

وطرق الوقف كثيرة، ولكن الذي انتشر منها هو بناء المساجد ووقف كل ما يتعلق بها، وذلك لما فيه من الأجر العظيم، ولما أمر الله به من بنائها، وجعلها من علامات الإيمان به فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (التوبة:18).

([1]) النووي، حديث رقم (1631) كتاب الوصية. باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته جـ 11، صـ94.

([2]) النووي المرجع السابق، شرح صحيح مسلم، جـ11، صـ94.

صور من حث الرسول أمته على الاهتمام بالمساجد من أحاديث كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

ولما للمساجد من أهمية في الدين الإسلامي فقد حث الرسول ﷺ على بنائها أو ترميمها أو إعادة بنائها إذا لحق بها الخراب، فهذا عثمان بن عفان أراد إعادة بناء مسجد الرسول ﷺ فكره الناس ذلك فقال لهم : "إنكم قد أكثرتم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى لله مسجداً – قال بكير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله – بنى الله له مثله في الجنة)، وفي رواية هارون : (بنى الله له بيتاً في الجنة)، وجاء في رواية أخرى أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك، وأحبوا أن يدعه على هيئته، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بني مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله)[1].

الحديث الثاني:

إن الاهتمام ومعاهدة المساجد بإصلاح ما يتلف من مقتنيات وترميم ما ينهدم من البناء وتنزيهها عن الأقذار الحسية، ومن ذلك ما رواه جابر في حديثه الطويل، قال عبادة بن الوليد : عن عبادة بن الصامت : "ثم مضينا حتى أتينا جابر بن عبد الله في مسجده وهو يصلي في ثوب واحد مشتملاً به، فتخطيت القوم حتى جلست بينه وبين القبلة، فقلت : يرحمك الله أتصلي في ثوب واحد ورداؤك إلى جنبك؟ قال: فقال بيده في صدري: هكذا و فرق بين أصابعه وقوسها: أردت أن يدخل علي الأحمق مثلك فيراني كيف أصنع فيصنع مثله، أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب[2] فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون ثم أقبل علين ا فقال : (أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟) قال: فخشعنا ثم قال: (أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟) قال: فخشعنا ثم قال: (أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟) قلنا: لا أينا يا رسول الله. قال: (فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمنيه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى،

---

(1) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم (533) صـــ2287.

(2) عرجون بن طاب: هو غصن به نوع من التمر.

فإن عجلت به بادرة[1] فليقل بثوبه هكذا) ثم طوى ثوبه بعضه على بعض فقال: (أروني عبيراً) فقام فتى من الحي يشتد[2] إلى أهله فجاء بخلوق في راحته فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة فقال: جابر فمن هناك جعلتم الخلوق[3] في مساجدكم [4].

ولمعرفة المزيد عن عمارة المساجد وبنائها ابتداء نعرفها في اللغة فكلمة.

تعريف المساجد في اللغة

مساجد: مأخوذة من مادة (سجد) جاء في القاموس المحيط : "إن سجد خضع وانتصب، وأسجد طأطأ رأسه وانحنى، وأدام النظر"[5] ، وقال صاحب ا لمختار إن "سجد: خضع، ومنه سجود الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض، والمسجد بفتح الجيم جبهة الرجل حين يصيبه أثر السجود، والأراب السبعة مساجد"[6].

وأشار الزجاج إلى أن كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، والمسجد الذي هو بفتح الجيم محراب البيوت ومصلى الجماعات[7].

وقد جاء معنى (يعمر) عند الأصفهاني: "إما أن تكون من العمارة التي هي حفظ البناء، أو من العمرة التي هي الزيارة"[8].

وقد جاء معنى (يعمر) عند الأصفهاني: "إما أن تكون من العمارة التي هي حفظ البناء، أو من العمرة التي هي الزيارة"[9].

وحكى الأصفهاني بأن المسجد : موضع الصلاة باعتبار السجود وقوله : ﴿ وَأَنَّ

---

(1) عجلت به بادرة: أي غلبته بصقة أو نخامة بدرت منه.

(2) يشتد: أي يعدو عدواً شديداً.

(3) الخلوق: هو أخلاط طيب تجمع بالزعفران.

(4) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (3006) صـ2303،صـ2304.

(5) الفيروز آبادي، مرجع سابق، صـ366، جـ1.

(6) الرازي، مرجع سابق، مختار الصحاح، صـ121.

(7) ابن منظور، مرجع سابق، جـ3،صـ204.

(8) الاصفهاني، مرجع سابق، صـ586.

(9) الاصفهاني، مرجع سابق، صـ586.

ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الجن : 18) عني به الأرض، إذ قد جعلت الأرض كلها مسجداً وطهوراً"[1].

وفي ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (أعطيت خمساً، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة)[2].

أما تعريفها اصطلاحاً

فالمسجد هو مكان الصلاة للجماعة والجمعة، وكل ما اتخذه الناس م صلى فهو مسجد[3].

وترى الباحثة أن المسجد هو البناء الذي يحتوي على محراب يحدد جهة القبلة ومأذنة لرفع صوت الأذان، وتقام فيه الجمعة، وتعقد فيه الصلوات الخمس، ويحدد ببناء، وأن يحافظ على طهارته باستمرار، وأن يكون له قيمون من أمام ومؤذن وقائم على تعاهده وحفظه.

ع مارة المساجد الحسية والمعنوية

تكون عمارة المساجد عن طريقتين: تعمير حسي ومعنوي.

فأما التعمير الحسي فيكون أولاً ببنائها متحرياً بذلك إخلاص النية لله تعالى، وأن يكون من مالٍ حلال، وأن تكون نيته جمع المسلمين على أداء الصلوات.

فإن أهم ما تعمر به هو الإيمان با لله تعالى وإقام الصلوات والمداومة عليها، فقد سماها الرسول ﷺ رباطاً.

(1) الأصفهاني، مرجع سابق ،ص397

(2) البخاري، مرجع سابق ص92 حديث رقم 438

(3) العقل ، ناصر بن عبد الكريم (1419هـ) أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد ط 1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، صـ 13.

فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، بعد الصلاة فذلكم الرباط)[1].

ومن صفات الموصوفين بعمارة مساجد الله إيمانهم باليوم الآخر وإقامتهم الصلاة وإيتاؤهم الزكاة مع عدم خوفهم إلا من الله سبحانه وتعالى وأنهم لا يعبدوا إلا الله، وجاهدوا في سبيل الله أولئك هم العمار الحقيقيون للمساجد . وقد قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)، قال الله" (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)[2].

المبادئ التربوية من الأحاديث الدالة على بناء المساجد

- تعويد الأبناء على الذهاب إلى المسجد عن طريق اصطحابهم، مع مراعاة سن الأطفال في ذلك بأن كانوا يميزون، فإن كانوا صغاراً لا يلتفتون إلى الصلاة فقد يكون في حملهم إلى المسجد إضراراً بالمسجد وبهم.
- دعم الأبناء مادياً أو معنوياً عند مشاركتهم في الأعمال الخيرية، ومن ذلك بناء المساجد أو ترميمها أو شراء مستلزمات للمسجد مثل مناديل أو حاوية نفايات أو بتعاهد نظافته بتبخيره أو بتوزيع السواك على المصلين في المسجد.
- تشجيع الناشئة على الاهتمام بالمسجد، وذلك برصد جائزة لأفضل من يتعاهد المسجد ويحافظ على الصلوات، لأنه أصبح يلاحظ على بعضهم تهاونهم في الصلاة أو عدم مواظبتهم على جميع الفروض مع مكانة الصلاة وتسنمها لجميع الأعمال، فقد سئل الرسول ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : (الصلاة على وقتها) قال: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين). قال: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني[3].

([1]) النووي، شرح صحيح مسلم للنووي، مرجع سابق، حديث رقم 251، صـــ143.

(2) ابن ماجة، مرجع سابق، ج1، ص 263، رقم الحديث 802، ورواه الترمذي، السنن، ج5، ص 277، رقم الحديث 3093، وقال عنه حديث حسناً غريب، وذكره أحمد، المسند، ج3، ص 76، رقم الحديث 11743.

(3) البخاري، مرجع سابق، حديث رقم 527، صـــ 106.

- العمل على إلحاق الأبناء بحلقات تحفيظ القرآ ن الكريم ومراقبتهم؛ لأنه بدأ يلاحظ بعد بعض الناشئة عن كتاب الله وإهمالهم القراءة فيه، وقد يكون في ذلك بعدهم عن المسلك الرباني الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفرقان: 30).
- تعويد الأبناء منذ الصغر على العادات الحسنة في الصلاة كارتداء أفضل ملابسه عند ذهابه إلى الصلاة، وجعل زجاجة عطر خاصة للمسجد، ووضع مناديل الجيب دائماً في جيبه، وجعله يواظب على استعمال السواك دائماً؛ لأنه أصبح بعض أبنائنا هداهم الله لا يهتمون بهندامهم إذا أرادوا الذهاب إلى الصلاة، بينما تجدهم يتكلفون في الملبس إذا أرادوا الذهاب إلى الأسواق أو اللعب أو غير ذلك، وهذا فيه تهاون بقدر الصلاة.
- على الآباء والأمهات محاسبة أنفسهم إذا لم يجدوا أبناءهم من الذين يتسابقون إلى الصلاة؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم :6). ويقول تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (طه :132)، فينبغي على الآباء والأمهات إيقاظ أبنائهم لصلاة الفجر، ولا يقولوا إنا نخاف عليهم من البرد، وكذلك صلاة العصر فلا يحزنون أنهم قدموا من المدرسة وهم متعبون، فإنهم بذلك يعتبرون غاشين لهم، فلا يوجد أهم من الصلاة، وأنهم عند إقامتها في المسجد تبرأ ذمة الأبوين، وحرز للابن وحفظ من الله سبحانه وتعالى، قال رسول ﷺ: (من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم) [1].

([1]) النووي، مرجع سابق، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، حديث رقم 656، جـ5، صـ164.

- يجب أن يلي الأب عنايته واهتمامه عند اختيار المسكن بقربه من المسجد، ولا يكون همه الأكبر وشغله الشاغل توفير الخدمات؛ لأن ذلك يسهل عليه متابعة أبنائه.
- إن في محافظة الأبناء على الصلاة تدريب لهم على إقامة ذكر الله في الأرض وخشيته سبحانه وتعالى، وتعويدهم على الصبر في تحري أوقاتهم، وملازمة المسجد، ففيها تهذيب سلوك الأفراد إلى الأفضل، قال تعالى : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (العنكبوت : 45)، قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، قال: إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة، الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله يأمره وينهاه[1].

([1]) ابن كثير، مرجع سابق، جـ3، ص1420.

المبحث الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن صلاح المجتمع الإسلامي يعتمد بالدرجة الأولى على التزام أفراده بما أوجبه الله عليهم من التزامات شرعية، فيتكون بذلك وازع ديني يردع كل مسلم عن ما نهاه الله عنه، فبذلك ينتشر العدل ويسود الأمن، ولكن جرت سنة الله في خلقه أن منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم المسلم والفاسق، ومنهم العالم والجاهل، فيحصل بذلك تباين في أعمالهم ومعاملاتهم، ويقع من بعضهم الزلل الذي يستوجب تقويمهم وفق أصول الشرع من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهو ما يعرف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

صور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الزهد للإمام مسلم

الحديث الأول:

فمن ذلك ما رواه أسامة بن زيد، قال: قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه أولاً، أقول لأحد يكون علي أميراً إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق [1] أقتاب[2] بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه)[3]

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة

"المعروف ضد المنكر، والمعروف الجود، وقيل: هو اسم ما تبذله وتسديه وهو كل ما تعرفه النفس من الخير، وتبسأ به وتطمئن إليه، وقد تكرر ذكر المعروف في

([1]) تندلق: خروج الشيء.

([2]) أقتاب: أمعاءه.

([3]) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم 2988، صـــ2290 – صـــ2291.

الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة أي أمر م عروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الأهل"[1].

وجاء لدى الجرجاني أن "النهي ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه : لا تفعل"[2].

أما المنكر فقد جاء في مادة نكر : "نكر الأمر نكراً جهله، والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وضده، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر"[3].

وذكر الأصفهاني أن المعروف "اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر لديه كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة"[4].

وترى الباحثة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هو أن يبذل الإنسان وسعه وطاقته في دعاء الناس إلى شريعة الله سبحانه وتعالى، تطبيقاً للأوامر ونهياً عن المعاصي، وعن كل ما من شأنه أن يضع من قدر المسلم أو يحط من خيريته.

ولأهميته في صلاح المجتمع المسلم فإن الشارع أوجبه، فقال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ (آل عمران: 104). ذكر ابن كثير في تفسيرها : "أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"[5].

وقال تعالى مادحاً هذه الأمة : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

([1]) ابن منظور، مرجع سابق، جـ9، صـ240.

([2]) الجرجاني، مرجع سابق، صـ195.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، جـ9، صـ233.

([4]) الأصفهاني، مرجع سابق، مادة عرض، صـ561، ومادة نكر صـ823.

([5]) ابن كثير، مرجع سابق، جـ1، صـ353.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: 110).

وقد جاء في وجوبه من السنة قوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[1].

فعلى كل إنسان أن يغير من المنكر الذي يقع أمامه حتى ولو أظهر ذلك بتمعر وجهه وإن لم يستطع فينكر بقلبه ويهجر مخالطتهم ومؤاكلتهم والجلوس معهم.

ويجب على المسلم أن يتعلم فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن له درجات تنفيذية ينبغي معرفتها للعامة والخاصة؛ لأن هذا الأمر عام للمسلمين لا تختص به فئة معينة إلا إذا كان في الإنكار حدوث فوضى، فيجب إبلاغ المختصين بذلك.

درجات إنكار المنكر التنفيذية

1) "درجة التعرف بحيث يثبت الفعل المنكر شرعاً.
2) التعريف، ويكون إذا أقدم الشخص على المنكر وهو يجهل أنه منكر.
3) النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وصفاته وأيامه.
4) السب والتعنيف بالقول الخشن، وتكون بعد الإصرار على المنكر والاستهزاء بالوعظ والتعريف.
5) درجة التغيير باليد، وذلك ككسر الملاهي وإراقة الخمر.
6) التهديد والتخويف بما يجوز التهديد به كقوله: دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن عنقك.
7) مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح، وأن يكون على قدر الحاجة في الدفع، وأن يراعي التدرج في ذلك"[2].

ولابد للمسلم أن يكون متفطناً للمبادئ العامة التي تحكم طريقة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ذلك:

([1]) النووي، مرجع سابق، جـ2، صـ381، حديث رقم (49).

([2]) الغزالي، مرجع سابق، جـ2،صـ361.

1- أن الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- العلم بحقيقة ما يأمر به وحقيقة ما ينهى عنه، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:108).

3- درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة في الشريعة الإسلامية.

4- البدء بالأهم فالمهم وتقديم الكليات على الجزئيات، فعن ابن عباس أن معاذاً قال : بعثني رسول ﷺ قال: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[1].

5- عدم التجسس على الناس واقتحام دورهم بالظنون، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات: 12).

6- كيفية أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبها قد وضحها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: 125).

7- الدرجات التنفيذية التي حددها العلماء لتغيير المنكر وقد سبق ذكرها[2].

---

(1) النووي، مرجع سابق، جـ1، صـ310.

(2) الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن (1412هـ)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ط1، الناشر، المؤلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وبعد توضيح درجات إنكار المنكر والمبادئ العامة فيه لابد من توضيح الصفات التي يجب أن يتحلى بها من تصدر لهذا الأمر، إذ إن "الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر رجل نصب نفسه لبيان الحق، والحق لا يرضي كل الناس، لذا فإنه يتعرض للأذى ممن لا يرضيهم الحق، فيكون ذلك ابتلاء له وامتحاناً "[1]. قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت:2 – 3).

الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

لقد ذكر الحقيل هذه الصفات بشيء من الاستفاضة فنذكرها فيما يلي: [2]

1) أن يكون رفيقاً لطيفاً رحيماً بمن يأمره وينهاه، فقد قال تعالى واصفاً نبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران:159).

ومن الأمور التي دعا الرسول ﷺ إليها الرفق، فقال ﷺ (من يحرم الرفق يحرم الخير)، ونصحه لعائشة عندما أرادت ركوب جمل صعب فقال: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه)[3].

إن الناس في حاجة ماسة إلى من يعاملهم معاملة لينة كما يحب أن يعاملوه إن هو أخطأ فلا يعنفهم ولا يسخر منهم لجهلهم، ولا ينقص من قدرهم؛ لأن من نسبت إليه الخطأ، فقد عيرته، فينبغي مراعاة نفسيته؛ لأن التعيير هو "إظهار السوء وإشاعته في

---

(1) الحقيل، مرجع سابق، صــ137.

(2) الحقيل، مرجع سابق بتصرف، من صــ 125 إلى صــ 161.

(3) النيسابوري، مرجع سابق، صــ2003–2004، حديث رقم 2592 – 2593.

قالب النصح"، فينبغي للمؤمن أن يكون حذراً من ذلك، فقد قال الفضيل: "المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير"[(1)].

2) الإخلاص:

من متطلبات الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يتخلق بخلق الإخلاص، وأن ينبذ عنه الرياء والسمعة وحب الظهور والشهرة؛ لأنه من تتبع هذه الأمور فإنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتجه إلى البحث عن أموره الشخصية فيتتبع الأهواء والشهوات، ويبتعد عن الانتصار لله ولرسوله ﷺ، وإنما يكون انتصاره لأهوائه ورغباته، فهم بذلك يشركون معه غيره، وهذا ما تبرأ الله منه، قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (الصافات: 159).

3) الصبر: من أعظم ما يتزود به الآمر بالمعروف الناهي على المنكر الصبر، حيث إنه سوف يلاقي في طريق دعوته كثيراً من المضايقة والاستهزاء والسب والشتم، ولنا في أنبياء الله قدوة حسنة، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحقاف:35).

ولأنه المعول الذي عليه يتجدد نشاط الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، فقد أمر لقمان به ابنه فقال: ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان:17).

فكل ما يصيبه من ألم ونصب وهم في سبيل الله فلا ينتظر أجره من أحد، فكذلك كان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وصبرهم في سبيل تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى إلى جميع أقطار الأرض، وقد تقدم الكلام عن الصبر في موضعه.

4) التواضع:

---

(1) ابن رجب، زين الدين (1399هـ) الفرق بين النصيحة والتعيير، ط1 - ص39-40، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، الناشر مكتبة القيمة، 74 ش مصر والسودان - حدائق القبة.

إن التواضع من الأخلاق الفاضلة التي أمر الإسلام بها، فقال تعالى ذاماً التكبر والتعالي على الناس في وصية لقمان لابنه : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩ ﴾ (لقمان: 18–19).

فإن النفوس جبلت على القبول من المتواضعين والنفور من المتكبرين، ولا بد للإنسان من مراعاة أفعاله فلا يتكبر على مبتلى أو فاسق فيرى في نفسه عليه مزيد فضل؛ لأن الله الذي ابتلاه وعافاك قادر على ابتلائك أيضاً، فعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد للإنسان أن يتواضع لمن يأمره وينهاه حتى يكون ذلك أسرع لقبوله وقبول قوله.

5) أن يكون الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر عالماً بالوقت الذي ينبغي أن يكون الأمر بالمعروف سراً، ومتى ينبغي أن يكون جهراً، فيجدر به النصح قدر الإمكان سراً ولا يشهر به؛ لأن في نصحه ابتداءً وصمه بالجهل ونسبته إليه، فلإذا كان سراً فهو أجدر لقبوله، فقد قال الشافعي: "من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"[1]، ولأن في نصحه علانية تعييراً له.

ولكن إذا كان في النهي تعليم ونصح للآخرين فلا بأس في ذلك، ولكن يعرض ولا يصرح كما فعل النبي ﷺ عندما "استعمل رجل من الأزد يقال له: ابن اللتبيه على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: (ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي؛ ألا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى له أم لا؟ لا يأتي أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيراً فله رغاء أو بقرة فلها خوار أو شاة تيعر) ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ثم قال: (اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟)[2] .

---

(1) النووي، مرجع سابق، جـ2، صـ384.

(2) الأزدي، أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم 2557 في كتاب الخراج والأمارة والفيء، باب هدايا العمال جـ3، صـ 134 – 135، علق عليه محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، .

فإنه في هذا الحديث عرض ولم يصرح باسمه، وهذا من حكمته ﷺ ولكنه مع ذلك نصح وبلغ، وإذا استطاع الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر من تتبع خطى المصطفى ﷺ في ذلك فقد حاز خيراً كثيراً.

6) على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر التحقق والتثبت من المنكر أن يكون منكراً، وذلك في مرده إلى الشرع، وأيضاً يكون ظاهراً، فلا يتبع العورات حتى يكتشفها، فإن في ذلك هتك لأستار المسلمين وحب لإشاعة الفاحشة بينهم، فقد قال تعالى آمراً بالتثبت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ (الحجرات: 6)، ولعظم شأن التحقق أمر الله بالشهود عند إنكار المنكر، فمن ذلك قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ ﴾ (النور:4). فإن في عدم التثبت سبب في وقوع الخطأ في الحكم وهو ما يسبب وقوع الظلم الذي هو عدو العدل الأول، فيقع بسبب ذلك العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة الإسلامية.

7) معرفة أحوال من يأمرهم وينهاهم، فلا بد للآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يعيش في واقعه ومجتمعه ولا يعيش بعقلية مغلقة على ما فيها من التحجر وما تربى عليه الآباء والأجداد، بل يجب عليه الاطلاع ومعرفة ما هو جديد من المخترعات والمعاملات التي تقع بين الناس، فإنها أصبحت في عصرنا الحاضر كثيرة ومتجددة، فينبغي عليه الاطلاع على هموم مجتمعه وأمته، وأن لا يكون منغلقاً، فإنه بذلك يكون لبنة فعالة في المجتمع.

8) ينبغي على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون قدوة بأفعاله وأقواله، وأن يتمثل ما يأمر به وينهى عنه؛ لأن عدم التزام نفسه بالأوامر والنواهي يعد ثُلمة في أخلاقه، قال تعالى : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ

ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (البقرة: 44). وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك ورتب عليه عقوبة عظيمة.

وقد يتخذ ذلك طريقاً للصد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول الإنسان: إذا لم أكن ملتزماً في نفسي فليس لي الحق في الإنكار على الآخرين أو أمرهم بالمعروف؟ وهذا يقفل باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجب عليه ابتداءً أن ينصح نفسه ويلومها، ويلتزم المعروف، ويبتعد عن المنكر، ويأمر غيره بالمعروف، وينهى عن المنكر.

والبعض الآخر من الناس يخطئ خطأ فادحاً وينقسم الناس في خطئهم هذا إلى فريقين:

"الفريق الأول يترك ما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متأولاً لهذه الآية قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (المائدة: 105).

عن قيس قال سمعت أبا بكر الصديق يقول : "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية التي في المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (المائدة : 105)، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب)[1].

(1) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (1411هـ)، سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب قوله تعالى ﴿يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم...﴾(المائدة:105)، ج6، ص 338، رقم الحديث 11157، تحقيق د./ عبد الغفار سليمان البنداري، سيد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

أما الفريق الثاني: من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح وما يقدر عليه وما لا يقدر عليه"[1].

9) كسر الحواجز بين الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وبين الناس، والمقصود بهذه الصفة أن يذهب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إلى العصاة والذين يعملون المنكر لينصحهم ويدعوهم ويبلغ إليهم الحق، فمن لهم غيره، أيجعل مثلهم يتولاهم أو غريباً عنهم فلا يرحمهم ولا يوصلهم إلى الحق، وهذه الصفة تحتاج إلى شجاعة وتواضع عالم، فقد كان النبي ﷺ يتعرض للوفود في الحج والأشهر الحرم، وكان يذهب إلى البيت الحرام ويدعوهم فيه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء: 214).

خرج النبي ﷺ إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: (يا صباحاه) فاجتمعت إليه قريش، فقال: (أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقونني)، قالوا: نعم، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لكَ، فأنزل الله عز وجل: (تبت يدا أبي لهب) إلى آخرها [2]، ولنا في رسول الله وصحابته الكرام أسوة حسنة.

10) اتساع الصدر لقبول الخلاف فيما يجوز الخلاف فيه، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

وقد رواه أبو داود في كتاب الملاحم، ج4، ص 122، رقم الحديث 4338، ورواه أيضاً الترمذي في كتاب الفتن، ج4، ص 467، رقم الحديث 2168. ورواه أيضاً ابن ماجة بكتاب الفتن، ج2، ص 1327، رقم الحديث 4005، ورواه أحمد في المسند، ج1، ص 2، رقم الحديث 1.

(1) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (1399هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومع بحث تمهيدي عنوانه: علامات ضوئية على طريق الدعاة، للدكتور محمد جميل غاري، وزارة المعارف، المكتبات المدرسية، مكتبة المدني ، جدة ، المملكة العربية السعودية، ص 58.

(2) البخاري، مرجع سابق، صـ917، حديث رقم 4972.

فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء:59).

ومن ذلك أن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى لما ألف كتاب "الموطأ " أعجب به الخليفة العباسي "أبو جعفر أو الرشيد" فاستأذنه أن يفرقه على الأمصار، ويحمل الناس على العمل به، وترك ما خالفه من الفتاوى ولو بالسيف، فنهاه عن ذلك، وقال: "لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن الصحابة تفرقوا في الآفاق ورووا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز التي اعتمدتها، وأخذ الناس بذلك، فدعهم وما هم عليه من الأخذ بما وصل إليهم من علمائهم، وإن الله جعل اختلاف علماء هذه الأمة في الفروع رحمة" [(1)].

ومن يسر الإسلام أنه عندما وضح درجات إنكار المنكر والمبادئ العامة التي يسير عليها الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها، جعل هنالك حالات يسقط فيها الأمر بالمعروف والنهي عن النكر ألا وهي:

العجز وعدم القدرة والخوف من القتل أو بطش ظالم أو عدم قبول القول من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو حصول ضرر أكبر من ذلك[(2)].

المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث الدالة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

1) ينبغي على المربين علاج مسببات حدوث الاختلاف في الأقوال والأفعال بين السر والجهر، سواء كان ذلك بسبب خوف أو حب أو إتباع للأهواء وا لشهوات، وتوضيح حكم ذلك لهم، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف: 2 – 3).

(1) شعبان، زكي الدين (1408هـ) أصول الفقه الإسلامي، مؤسسة علي الصباح للنشر التوزيع، الكويت، صـ533 –534.

(2) الغزالي، مرجع سابق، جـ2، صـ 346ـ 347.

- زرع الشجاعة في نفوس الأبناء وتنمية ملكة النقد البناء لديهم ع ن طريق نقد الأخطاء التي تحدث منهم أو أمامهم، وجعلهم يشاركون في الحل بموضوعية تامة، فإنهم صغار قوم سيغدون كبارهم في الغد، ولا يكون ذلك إلا بتدريبهم منذ الصغر.

- على كل من يلي العملية التربوية من بيت ومسجد ومدرسة أن يهتموا بإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع الوسائل، وتربية أبنائهم على أن يكون أحد همومهم، فإنهم بذلك يربونهم على معالي الأمور.

- يجب أن يلتزم الوالدان بأوامر الشرع ولا تأخذهم الشفقة على الأبناء فيصدونهم عن دين الله، فإن بعض الآباء والأمهات هداهم الله إذا شب أبناؤهم واتجهوا إلى تطبيق سنن الإسلام من صيام النوافل وقيام الليل، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فإنهم يمنعونهم خوفاً على صحتهم أو خوفاً عليهم من أن يلحقهم أذى، فهم بذلك يقلبون موازين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويصبحون أداة للصد عن دين الله.

- أننا نتلمس في وقتنا الحالي ثمار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كثرة الكسوف والخسوف وشح القطر ونزول الغلاء وكثرة الزلازل وانتشار الفيضانات وانتشار الأمراض الوبائية، والعجز عن إيجاد حلول لجميع هذه المصائب، وما ذلك إلا بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾ (المائدة: 78 -79).

فإن في إخبار الناشئة بأسباب ذلك شحذ لهممهم، وإحياء لروح التنافس الشريف في إحياء هذه الشعيرة.

المبحث الثالث

الإيمان بالملائكة والجن

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فخلق الملائكة وألهمهم إطاعة أوامره. فقال تعالى واصفاً إياهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ (التحريم : 6).

وخلق الجن والإنس ووحد الهدف من خلقهم ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (الذاريات :56).

ومن خلال الآيات يظهر الترتيب الزمني للخلق، فابتداء كانت الملائكة، ثم الجن ثم بنو آدم، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ (البقرة: 30).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٦ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ (الحجر: 26–27).

صور من الأحاديث الدالة على الإيمان بالملائكة والجن

الحديث الأول:

وذلك مما وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال : (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجآن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)[1].

الحديث الثاني:

ما روته عائشة أن الرسول كان مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو

([1]) النيسابوري، صحيح مسلم ، مرجع سابق حديث رقم 2996 صـــ2994ـــــ .

ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه، قال محمد. ولا أقول ذلك في يوم واحد ، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)[1].

الحديث الثالث:

ومن ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (التثاؤب من الشيطان، فإ ذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع).

وفي رواية أخرى (إذ تثاءب أحدكم فليمسك ما استطاع فإن الشيطان يدخل)[2].

وذكر النووي إن إضافته إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إلى الشهوات، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل، وقد أمر بالكظم ورده بوضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخوله فمه وضحكه منه"[3].

فعلى الإنسان مدافعة ذلك بذكر الله وتسبيحه، ووضع يده على فيه.

الملائكة لغة

الملائكة لغة: مأخوذ من "لاك الملاك والملائكة الرسالة، وألكني إلى فلان أبلغه عني، أصله ألكني، والملاك الملك لأنه يبلغ الرسالة[4].

وجاء لدى الجرجاني بأن الملك: "جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة"[5].

فعند إطلاق لفظة الملائكة فإنه يتبادر إلى الذهن أوصافهم الخَلقيْة والخُلُوقية ووظائفهم.

صفاتهم الخَلقْية

([1]) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم 2401، ص 1866.

([2]) النيسابوري، مرجع سابق، حديث رقم2994 – 2995 .

([3]) النووي، شرح صحيح مسلم، جـ 18 ، صـ332 – 333 .

([4]) ابن منظور، مرجع سابق، جـ 10، صـ 481.

([5]) الجرجاني، مرجع سابق، صـ183.

1- وجود الأجنحة، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (فاطر: 1).

2- جمال الصورة وحسنها، قال تعالى حكاية عن يوسف وامرأة العزيز: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (يوسف:31).

3- قوة الخلقة وشدتها "وتفاوتهم في الخلق والمقدار"، فمن قوة الخلقة ما مدح الله به جبريل عليه السلام فقال تعالى حكاية عنه : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (النجم: 5-7).

ووصف سبحانه شدتهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم: 6).

4- عدم وصفهم بالذكورة والأنوثة؛ لأن ذلك من علم الغيب، وبين الله ضلال مشركي العرب عندما وصفوهم بأنهم إناث، وبالغوا في القول بأن جعلوهم بنات الله ، وقد جعل الله قولهم هذا شهادة سيحاسبهم عليها، فإن من أعظم الذنوب القول على الله بغير علم [1]، فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الزخرف:19).

(1) الأشقر، عمر سليمان (1419هـ) "عالم الملائكة الأبرار، ط5" مكتبة الفلاح، الكويت، ص14.

5- ومن صفاتهم الخَلقْية عدم احتياجهم للطعام والشراب، فقال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الذاريات :24-31).

6- من صفاتهم الخَلْقية أيضاً عدم مللهم أو تعبهم، فهم مجبولون على عبادة وطاعة الله سبحانه وتعالى، قال في ذلك: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ (فصلت: 38).

7- قدرتهم على التشكل ، ومن ذلك عندما جاءوا إلى إبراهيم كانوا في صورة بشر يعرفهم، وكذلك عندما جاءوا إلى لوط ، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ (هود: 77-81).

فجاء في تفسير ابن كثير: "قدم رسل الله من الملائكة على لوط وهم في أجمل صورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه ابتلاءً من الله وله الحكمة

والحجة البالغة"[1].

وأيضاً ما سبق ذكره من تشكل الملك في صورة الرجل للأبرص والأعمى والأقرع الذين ابتلاهم الله من بني إسرائيل.

أما صفاتهم الخُلقية

1- الملائكة كرام بررة قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝ ﴾ (عبس: 11- 16).

فذكر ابن كثير تفسير " كرام بررة": أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة وطاهرة كاملة[2].

2- العلم، فالملائكة عندهم علم وفير علمهم الله إياه، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ ﴾ (البقرة:31-32).

ولكن العلم الذي علمهم الله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان، ومن العلم الذي أعطوه علم الكتابة، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝ ﴾ (الانفطار:10-12).

3- النظام، فإن الملائكة منظمون في عبادتهم ، وقد حثنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على الاقتداء بهم[3]. وذلك في قوله: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم جل وعز) قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: (يتمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف)[4].

(1) ابن كثير، مرجع سابق، صـــ933ـ جـ2 .

(2) ابن كثير ، المرجع السابق صـــ 1991 جـ4

(3) الأشقر، عمر سليمان "عالم الملائكة الأبرار " مرجع سابق صـــ22-32.

(4) الأزدي، مرجع سابق "سنن أبي داوود" حديث رقم (661) جـ1، باب تسوية الصفوف.

وقد قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الفجر:22).

وقد بين الله وظائفهم في بعض الآيات، ونذكر طرفاً منها في هذا المقام:

1- تبليغ وحيه ورسالته إلى أنبيائه، قال تعالى: (ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾) (الحج: 75).

2- عبادة الله وتسبيحه وحملهم لعرش الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الزمر: 75).

3- توكيلهم بالأعمال من ذلك الموكل بالنار فقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ (المدثر: 31) .

وأيضاً ورد اسمه في آيٍ أخرى فقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الزخرف: 77).

4- الدعاء للمؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأحزاب: 43).

وجاء في تفسيرها عند ابن كثير "الصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء والاستغفار"[1].

([1]) ابن كثير مرجع سابق جـ3 صـ1491.

5- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ (الأحزاب: 56).

6- إمداد المسلمين بالملائكة لمساعدتهم في حروبهم مع المشركين قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (آل عمران: 123-124).

7- قبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (السجدة :11).

8- إنزال العقوبات بإذن الله على الأمم، وكذلك الابتلاء كما سبق في حديث الثلاثة النفر من بني إسرائيل وهم الأبرص والأقرع والأعمى .

9- منهم من يكون موكلاً بالقطر كما سبق في حديث (اسق حديقة فلان).

10- ومن وظائفهم حفظ بني آدم ابتداء من كونه نطفه فيوكل به ملك ، ثم بعد ذلك يوكل به ملكان لحفظه : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد:11)، ويحفظونه من إغواء الشياطين .

ومما سبق ترى الباحثة أن عالم الملائكة من العوالم الغيبية التي استأثر الله بعلمها لديه، وواجب المسلم الإيمان بها بدون إفراط أو تفريط، وإثبات ما وصفهم الله به من خلقهم وصفاتهم ووظائفهم، واختيار الله لهم لمجاورته في السماء، و ما سوى ذلك فنحن مأمورون بالتوقف وعدم الخوض فيه .

وهم مشتركون مع عالم الجن في الصفة الغيبية، ولمعرفة المزيد عنهم نعرفهم ابتداءً:

فالجن لغة

جنن جن الشيء يجنه جناً ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه، وجن الليل وجنونه وجنانه شدة ظلمته وادلهمامه، والجن ولد الجان، ابن سيده: الجن نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الجنة الأبصار ولأنهم استجنوا من الناس فلا يرون، والجمع جنان، وهم الجنة، وفي التنزيل العزيز : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون)[1]. وقد ذكر الراغب احد الأقوال في الجن بأنهم بعض الروحانيين، وذلك إن الروحانيين ثلاثة:

أخيار: وهم الملائكة، وأشرار، وهم الشياطين، وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن، ويدل على ذلك حكاية الله عن الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الجن :14)[2].

أما الجن اصطلاحاً

فقد ذكر فيصل عراقي أن "الجن في عقيدتنا الإسلامية – كعلم – خلق من خلق الله تعالى وعالم من العوالم الغيبية التي لا يعلم حقيقتها على وجه التفصيل والإجمال إلا خالقهم وخالقنا الله سبحانه وتعالى" [3].

وترى الباحثة أن عالم الجن من العوالم الغيبية التي استأثر الله بعلمها لديه، وواجب الإيمان بوجودهم بدون إفراط أو تفريط، وأمرنا بالاستعاذة منهم ودل الإنسان على طرق تحفظه منهم.

ويظهر والله أعلم من خلال النص القرآني أن الجن قد سبقوا في الخلق على بني آدم.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحجر:26-27).

([1]) ابن منظور، مرجع سابق جـ 13 صـ 92 - 93 -95 .

([2]) الأصفهاني، مرجع سابق، صـ 204.

([3]) عراقي ، فيصل بن محمد (1416هـ) عالم الجن .ط2 ، الناشر المؤلف، المركز الإعلامي، مكة المكرمة، صـ15.

"قال ابن عباس : السموم التي تقتل . قال بعضهم: السموم بالليل والنهار . وعن ابن عباس: أن الجان خلقت من لهب النار، وفي رواية: من أحسن النار [1]. ورواية صحيح مسلم: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ ﴾ (الرحمن: 15)، فقال النووي في تفسيره: "اللهب المختلط بسواد النار"[2].

صفات الجن الخَلقية

وأما صفاتهم الخَلقية فقد وضحتها بعض الآيات الكريمة وكثيرٌ من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- قدرة بعض المخلوقات على رؤيتهم، فمن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم صياح الديكه فسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله فإنه رأى شيطاناً)[3].

2- وأما في تشكله بالإنسان فقد ذكر ابن عباس أن "إبليس جاء يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعثم، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما اصطف الناس أخذ الرسول قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبراً وشيعته، فقال الرجل : يا سراقه أتزعم أنك جار لنا؟!"[4] فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨ ﴾ (الأنفال:48)

---

(1) ابن كثير ،مرجع سابق، جـ 2، صـ1016 .

(2) النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، جـ 18، صـ 334.

(3) البخاري، مرجع سابق، ص 579، حديث رقم 3303.

(4) ابن كثير، مرجع سابق، ج3، صـ819 .

3- قبح صورتهم وهيئتهم، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الصافات: 64-65).

4- وأما طعامهم وشرابهم فقد أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم به عندما سألوه الطعام لهم ولدوابهم، فقال: (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فلا تستنجوا بهما؛ فإنها طعام إخوانكم)[1].

5- تناكحهم وتناسلهم، وأخبرنا ربنا أن الشيطان له ذريه، قال تعالى مبكتاً عباده الذين يتولون الشيطان وذريته: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف:50)[2].

6- قدرة الشيطان على جريانه في جسم ابن آدم مثل مجرى الدم في العروق، ومن ذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم أتته صفية بنت حيي، فلما رجعت انطلق معها فمر به رجلان من الأنصار فدعاهما فقال: (إنما هي صفية)، قالا: سبحان الله ! قال : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)[3].

وفي ذلك مشاركة للأنس في جميع أحوالهم من طعام وشراب ونكاح وه ذا ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (الإسراء: 64).

أما الصفات الخُلقية التي تعتبر أهم مميزاته

1- الكبر، أنه أول صفة أخرجت إبليس من الجنة؛ لأنه استكبر عن عبادة الله،

---

(1) النووي، حديث رقم 450، ج4، صـ 412 – 413.

(2) الأشقر، عمر سليمان، (1415هـ)، عالم الجن والشياطين، ط4، ص 27، دار النفائس، عمان، الأردن.

(3) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، صـ 1247، رقم الحديث 7171 .

قال تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) ﴾ (ص:73-86).

2- الحسد: وهو أكثر الصفات ذماً لما فيها من إغارة الصدور وإشعال نار الغيرة التي تغذي هذه الصفة السيئة.

3- الكذب: فإنها طريقته التي أخرج بها أبوينا من الجنة : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) ﴾ (الأعراف:20-21).

وهذه الصفات الثلاث هي منشأ كل مادة للشر في هذا العالم والعياذ بالله، أما وظائفهم التي وكلهم الله بها فإنها على النحو التالي:

عبادة الله وحده : قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ (الذاريات:56).

وقال تعالى واصفاً لحال بعضهم عندما سمع القرآن: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ

بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ (الجن:1-2).

ولكنهم عندما عصوا الله سبحانه وتعالى تغيرت وظائفهم من عبادة الله إلى إضلال عباد الله فمن ذلك:

1- الوسوسة فقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (طه:120).

2- إيقاع العبد في الشرك والكفر - إيقاعهم في الذنوب والمعاصي وإيقاعهم في البدعة وصد العباد عن طاعة الله - إفساد الطاعات - دفع الشيطان للإنسان للمرور بين يدى المصلي - الغضب من الشيطان - إحراق المنازل بالنار - تخبط الشيطان للإنسان عند الموت إيذاؤه الوليد حين يولد ومرض الطاعون [1].

وإن من أعظم طرقه في إيذاء المسلم هو عن طريق وسوسته التي يخرج به ا المسلم من دائرة إيمانه ويلقيه إلى جهنم ثم يتبرأ منه، وهو بذلك يظفر بما توعد به عباد الله بأن يغويهم، فيجب على الإنسان الحذر منه، وأن يتحصن منه في حرز أمين، ولا يكون ذلك إلا عن طريق:

1- الالتزام بالكتاب والسنة : قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (البقرة:208).

2- الالتجاء إلى الله والاحتماء به وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من همزات الشياطين [2]. قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (المؤمنون:97-98). وجاء في تفسير ابن كثير أن معنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي : "أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه".

([1]) الأشقر، مرجع سابق، عالم الجن والشياطين، صـــ 67 - 78 .

([2]) الاشقر، المرجع السابق، عالم الجن والشياطين، صـــ 144 وما بعدها .

فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، وله ذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جم يل لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عن ذلك إلا الذي خلقه [1].

وقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم أماكن ومواضع تذكر فيها الاستعاذة، فمن ذلك عند قراءة القرآن، وعند دخول الخلاء، وعند الغضب، وعند الجماع، وعند نزول وادٍ أو منزل، وعند سماع صوت الحمار، وعند تعويذ الأهل والأبناء [2]. ومن الأمور الطاردة للشيطان الاشتغال بذكر الله ولزوم جماعة المسلمين فإن الفرقة من الشيطان وكشف مخططات الشيطان من سحر وكهانه وشعر ومخالفة الشيطان، إذا جاء في زي الناصح كما فعل بأبوينا، وترك مراكب الشيطان التي تقتنى للفخر، وأيضاً من باب الإسراف، وترك العجلة والتحلي بالأناة.

وإذا حصل من الإنسان شيء من ذلك فإنه يتوب ويستغفر، وأن يزيل الإنسان اللبس والغموض الذي يدخل الشيطان منه إلى النفوس، فيبتعد عن مواقف الشبهه والريب.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية أن القرآن والسنة اعتنت ب ذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس، فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تح ذيره من النفس المذمومة، فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته فهي مركبه وموضع شره[3] فينبغي على الإنسان كما عرف منشأ عدوه وغايته فينبغي عليه معرفة أصل خلقه وغايته، وامتداداً للحديث في أصل الخلق فإن آدم مخلوق مما وصف لنا في كتاب الله العزيز قال تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ ﴾ (الروم:20)، وقال أيضاً: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ

---

(1) ابن كثير، مرجع سابق، ج1، صـــ 23 .

(2) الأشقر، مرجع سابق، عالم الجن والشياطين، صـــ 146 وما بعدها باختصار .

(3) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر "د.ث"، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، صـــ78، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، عمان..

مَّسۡنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الحجر:26)، وقال في موضع آخر : ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ ﴾ (الصافات:11).

فقد تضافرت الآيات على إن الإنسان مخلوق من تراب، وجاء في بعض الآيات وصف آخر لهذا التراب أنه صلصال، والصلصال هو التراب اليابس، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مبدؤه الطين الأملس، وقيل: بأن اللازب هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض[1].

أما صفاته الخُلقية

فعندما خلق الله الإنسان جعل له غرائز وشهوات، فهذه الغرائز والشهوات إذا سلطت عليه ملكته وأصبحت صفة سيئة له، وإن استطاع التغلب عليها وأصبح ممسكاً بزمامها فإنها تسمو به إلى منزلة الخيرية التي وصفها الله لأفضل أمة، ونأخذ مثالاً على ذلك حب الإنسان للمال، فإن الله سبحانه وتعالى وصف حب الإنسان للمال بقوله : ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الفجر:20).

فإن المأمور به هو الإنفاق في سبيل الله سراً وعلانية، ولكن إذا طغت غريزة حب المال فإنه يصبح بخيلاً، وهذا ما وصفه الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ (الإسراء :100)، ولكن إذا سيطر الإنسان على هذه الغريزة فإنه يسمو بطبيعته، قال تعالى في ذلك : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (التوبة:121).

وقس على ذلك جميع الأخلاق التي جبل الإنسان عليها في أصل خلقته، وتحكمت فيها غرائزه وشهواته، وكذالك لا نغفل الجوانب الأخرى التي مرت بنا من إغواء شياطين الإنس والجن، ومرادنا في ذلك أن الإنسان مخلوق على الفطرة السوية التي يستنكر بها كل فعل مستقبح، ويقبل بها كل فعل يأمر بالخير ويرشد إليه، ورتب

(1) ابن كثير مرجع سابق جـ 2 صـ 1015 ، جـ 3 صـ 1432 ، جـ4 ، صـ 1574.

الله على أفعاله الجزاء؛ إذ إنه مسئول عن كل فعل يفعله، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ (الزلزلة:7-8).

ومن أعظم الغايات التي خلق الإنسان من أجلها:

1- عبادة الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ (الذاريات:56).

2- الاستخلاف في الأرض والقيام بواجبات الاستخلاف من إقامة الحق والعدل وحدود الله في الأرض، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ ﴾ (النور: 55).

ومما سبق يتضح أن الملائكة عباد الله المكرمون الذين يفعلون ما يؤمرون، وأما الإنس والجن فهم مكلفون بعبادة الله وحده لا شريك له، فمن أطاع الله وجبت له الجنة، ومن عصا الله ورسوله استحق عذاب الله وعقابه .

المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث الإيمان بالملائكة والجن

- ينبغي على الوالدين تربية أبنائهم على الإيمان بالله وملائكته، ومحبة الملائكة وإنزالهم منزلتهم، والاقتداء بهم في عبادتهم وخضوعهم لله، ومن ذلك تسوية الصفوف في الصلاة، وأن يبتعد عن التسمي بأسمائهم؛ لأن في ذلك تزكية للنفس البشرية ورفعها فوق منزلتها.
- إن أعظم الأخطاء الفادحة في تربيتنا لأبنائنا ما يفعله بعض الآباء والأمهات من تخويفهم من الأمور الغيبية مثل الجن والشياطين ورفعهم فوق منزلتهم، وجعل الأبناء يخافون منهم أكثر من أي شيء آخر، فيجب علينا أن نكون متزنين أمام

الأبناء وعدم تخويفهم أو الإيحاء لهم بأن لهم القدرة على إيذائهم، إلا إذا قدر الله لهم ذلك، فإن ذلك يعتبر قدحاً في عقيدتهم.

- ينبغي تحصين الأبناء بالآيات والأذكار عند الصباح والمساء، والمداومة على الطهارة وذكر الله دائماً، والعمل على أن يحفظ الأبناء بعض الأذكار البسيطة التي تكون في أوقات محددة، مثل التسمية عند الطعام، وأ ذكار النوم والاستيقاظ، وعند دخول الخلاء والمنزل، وإذا ركب الدابة، وإذا دخل السوق، وإغلاق الفم بذكر التسبيح عند التثاؤب، وفي كافة مناشط حياته اليومية؛ لأنه ظهر واضحاً على بعض أبنائنا – هداهم الله – بعدهم عن تطبيق هذه الأدعية في حياتهم اليومية، لذلك نجد كثيراً من الذين تصيبهم العين، وكثيراً ممن أصابهم المس، شفاهم الله.
- من الواجب غرس مبدأ التواضع في نفوس أبنائنا منذ نعومة أظفارهم، وتذكيرهم بمبدأ خلقهم من تراب عند الشعور بأن الأبناء يميلون إلى التكبر أو عند مباهاتهم بأنفسهم؛ لأن ذلك يعتبر من الذكرى التي تنفع المؤمنين.
- ينبغي غرس مبدأ الرضا بما قسمه الله سبحانه وتعالى من رزق وعطاء، ومن ذلك ما نراه انتشر بين بعض نساء ورجال المسلمين من تغيير لخلق الله باسم العمليات التجميلية، وذلك ما توعد به إبليس إضلالاً لبني آدم، فقال تعالى حكاية عن ذلك : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ (النساء: 119–120).

المبحث الرابع

التوكل على الله

إن حياة الرسولﷺ نبراساً يحتذي به في التوكل على الله سبحانه وتعالى ابتداءً من صغره وموت والده وكفالة أمه ثم موت أمه وكفالة جده، فلم ينشأ وهو معتمد على أحد وإنما كان أمره كله لله فنشأ متوكلاً عليه واثقاً بما في يده تعالى وقد تمثل تعلقه بالله وتوكله عليه في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة: 40).

إن منزلة التوكل على الله من المنازل ا لعظيمة التي لا يستطيعها إلا قلة من الناس الذين فهموا حقيقته وهي التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب وكثيراً من الناس قد فرطوا فيه وأخذوا من التوكل على الله لفظة فقط، وتركوا حقيقته، وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع المثل في توكله على الله مع الأخذ بالأسباب.

صور من توكل الرسول ﷺ على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب

الحديث الأول:

ومن ذلك حديث جابر الذي قال فيه: "سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح[1]. فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر به . فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحدهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: (انقادي علي بإ ذن الله)، فانقادت معه كالبعير المخشوش [2] الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : (انقادي علي بإذن الله) فانقادت معه

([1]) وادياً أفيح: أي واسع.

([2]) كالبعير المخشوش: هو الذي يجعل في أنفه خشاش وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً ويشد فيه حبل ليذل وينقاد .

كذلك. حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما "يعني جمع بينهما" فقال: (التئما علي بإذن الله) فالتأمتا. قال جابر: فخرجت أحضر[1] مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلٌ، وإذا الشجرتان قد افترقتا. فقامت كل واحدة منهما على ساق. فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة. فقال برأسه هكذا "وأشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً" ثم أقبل.

فلما انتهى إلى جابر قال: (يا جابر هل رأيت مقامي؟). قلت: نعم يا رسول الله قال: (فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما). حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك.

قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته فانزلق [2]. فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم. أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري. ثم لحقته فقلت: قد فعلت. يا رسول الله فعم ذاك؟ قال: (إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت بشفاعتي أن يرفه [3] عنهما ما دام الغصنان رطبين)[4].

الحديث الثاني:

ومن ذلك إجابة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال جابر: شكا الناس إلى رسول الله الجوع فقال: (عسى الله أن يطعمكم) فأتينا سيف البحر فزخر[5] البحر زخرة فألقى دابة. فأورينا على شقها النار فأطبخنا واشتوينا، وأكلنا حتى شبعنا. قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان، حتى عد خمسة، في

([1]) فخرجت أحضر، أي أعدو وأسعى سعياً شديداً.

([2]) فانزلق: أي صار حاداً.

([3]) يرفه: أي يخفف.

(4) النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم 3012 صـــ2307.

([5]) سيف البحر: هو ساحله، فزخر: أي علا موجه.

حجاج عينها[1] ما يرانا أحد. حتى خرجنا فأخذنا ضلعاً من أضلاعه فقوسناه، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب، فدخل تحته ما يطأطئ رأسه[2].

ومن أهم تجارب الحياة ما كان من توكل رسولنا ﷺ في تبليغ دعوة الله إلى عباده، ومن ذلك هجره للأصنام ولكل ما عبد من دون الله، وما مرت به الدعوة من المرحلتين التي مرت بهما من سرية وجهرية وما كان من أمر الهجرة وما صاحبها من دروس وعبر أخبر عنها الصحابة.

الحديث الثالث:

حيث قال أبو إسحاق: سمعت البراء بن عازب يقول: جاء أبو بكر الصديق إلى ابي في منزله، فاشترى منه رحلاً، فقال لعازب: ابعث معي ابنك يحمله معي إلى منزلي، فقال لي أبي: احمله فحملته. فخرج أبي معه ينتقد ثمنه[3]. فقال له أبي: يا أبا بكر! حدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ. قال: نعم: أسرينا ليلتنا كلها، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس بعد. فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكاناً ينام فيه النبي ﷺ في ظلها، ثم بسطت عليه فروة. ثم قلت: نم يا رسول الله! وأنا أنفض لك ما حولك[4]. فنام، وخرجت أنفض ما حوله، فإذا براعي غنم مقبل بغنمة إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا. فلقيته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة. قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أفتحلب لي؟ قال: نعم. فأخذ شاة فقلت له : انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى، (قال: فرأيت البراء يضرب بيده على الأخرى ينفض) فحلب لي، في قعب[5] معه. كثبة من لبن. قال: ومعي إداوة أرتوي فيها للنبي ﷺ ليشرب منها ويتوضأ. قال: فأتيت النبي ﷺ وكرهت

([1]) حجاج: هو عظمها المستدير بها.

([2]) النيسابوري، صحيح مسلم، المرجع السابق، حديث رقم 3014 صـــ 2308 صـــ 2309.

([3]) ينتقد ثمنه: أي يستوفيه.

([4]) أنفض ما حولك: أي أفتش، لئلا يكون هناك عدو.

([5]) قعب: القدح من خشب مقعر.

أن أوقظه من نومه. فوافقته استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله ! اشرب من هذا اللبن . قال: فشرب حتى رضيت . ثم قال: (ألم يأن للرحيل؟) قلت: بلى. قال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس . واتبعنا سراقة بن مالك، قال: ونحن في جلد من الأرض[1]. فقلت: يا رسول الله! أتينا. فقال: (لا تحزن إن الله معنا) فدعا عليه رسول الله ﷺ . فارتطمت فرسه إلى بطنها أرى. فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما علي، فادعوا لي . فالله لكما أن أرد عنكما الطلب . فدعا الله. فنجى، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال : قد كفيتكم ما ههنا. فلا يلقى أحداً إلا رده. قال: ووفى لنا.

الحديث الرابع:

وجاء في رواية أخرى لعثمان بن عمر : فلما دنا دعا عليه رسول الله ﷺ فساخ فرسه في الأرض إلى بطنه ووثب عنه. وقال: يامحمد قد علمت أن هذا عملك. فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولكَ علي لأعمين على من ورائي، وهذه كنانتي، فخذ سهماً منها، فإنك ستمر على إبلي وغلماني بمكان كذا، وكذا. فخذ منها حاجتك. قال: (لا حاجة لي في إبلك) فقدمنا المدينة ليلاً. فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ ، فقال: (أنزل على بني النجار، أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك)، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق، ينادون: يا محمد! يا رسول الله، يا محمد، يا رسول الله[2].

الحديث الخامس:

ومع توكل المسلم على الله تعالى، إلا أنه كيس حازم فطن لا يستغل فيخدع مرة بعد أخرى، والقصص في ذلك كثيرة، منها أن النبي ﷺ أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر فمن عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجو وأطلقه،

فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسره يوم أحد فسأله المن

([1]) جلد من الأرض: أي كانت الأرض مستوية صلبة.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم (2009)، صـــ2309 – 2311 .

فقال النبي ﷺ: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد م رتين)[1]. والمقصود من التوكل فيما سبق من الأحاديث نعرفه في اللغة والاصطلاح.

التوكل لغة

ذكر الأصفهاني أن التوكل : أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك [2]. قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ ﴾ (النساء: 81) .

وذكر صاحب كتاب التعريفات بأن التوكل : هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس[3].

وترى الباحثة أن التوكل على الله هو تفويض الأمر لله سبحانه وتعالى والاستعانة به مع الأخذ بجميع الأسباب والسبل التي تكون مظنة إصلاح عمل ما.

بعض الدروس والعبر في الهجرة النبوية

انطوت الهجرة النبوية على كثير من الدروس والعبر في حرص الرسول وحسن توكله على الله مما يقتدى به:

1) اختيار الصحبة التي يرجو المسلم فيها الإعانة على وعثاء السفر ومشقته، ومن ذلك توجيه الناشئة على اختيار أصدقاء يتوسمون فيهم الخير، لما في ذلك من إصلاح لشأنهم في مستقبلهم.
2) نستفيد من إجلال أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ وجوب احترام وتوقير الكبار في السن وأهل الفضل والعلم، فإن العلماء ورثة الأنبياء، فلابد من إجلالهم، فينبغي تنبيه طلبة العلم، على احترام المعلم فقد تناقلت بعض الصحف في الآونة الأخيرة بعض المواقف التي تسيء للعلم ولأهله المنتسبين إليه.
3) حسن الظن بالله والتوكل عليه سبحانه وتعالى في جميع الأمور، وتأييده ونصره لهما، قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ

---

(1) النووي، شرح صحيح مسلم، جـ18،صـ335، حديث رقم (2998).

(2) الأصفهاني، مرجع سابق، 882 (مادة وكل).

(3) الجرجاني، مرجع سابق، ص 62.

ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة:40).

ولا يظن إنسان أن الهجرة انقطعت بهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة واستقرار الدين في وقتنا الحالي، ولكن الهجرة هي أن تهجر الذنوب والمعاصي، وكل ما نهى الله عنه، فمن ذلك أن أعرابياً جافاً جريئاً جاء إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة إليك أينما كنت أو لقوم خاصة أم إلى أرض معلومة أ م إذا مت انقطعت؟ قال: فسكت عنه يسيراً ثم قال: (أين السائل؟) قال: ها هو ذا يا رسول الله . قال : (الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضرمة)[1]

معاني الهجرة

فعن طريق الحديث السابق يتسع معنى الهجرة ليشمل:

1) الهجرة فراراً إلى الله ورسوله، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النساء: 100).

2) الهجرة بمعنى البعد عن الذنوب والمعاصي، قال تعالى : ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ ﴾ (المدثر:5).

3) الهجر كأحد طرق المعاملة يعد أحد طرق تأديب الزوجة، قال تعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ

(1) حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (1417هـ) مسند أحمد، حديث رقم (6890)، مسند عبد الله بن عمر، صـ 489، جـ11، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلاًۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ (النساء:34).

والهجر كما قال ابن عباس : "هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره"[1]

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ (مريم:46).

ولم يكن سؤال الصحابة عن الهجرة إلا لما كان من حرصهم على الاستزادة من الخير.

أحكام الهجرة

وللهجرة ثلاثة أحكام:

أحدها: من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام مع الكفار.

الثاني: من لا هجرة عليه وهو من يعجز عنها إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو ضعف من النساء والولدان.

الثالث: من تستحب له ولا تجب عليه وهو من يقدر عليها، لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر، فتستحب له ليتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين ومعونتهم"[2].

ولابد من توضيح أن الهجرة هجرتان: هجرة قلبية إلى الله بعبادته وحده لا شريك له، وإلى رسوله ﷺ باتباعه وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وأن هذه الهجرة ملازمة للمسلم طوال حياته لا يتركها أبدا، والهجرة الثانية هجرة بدنية، وهي تتضمن الهجرة القلبية[3]، وهي ما أشرنا إليه آنفا في حكمها.

المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث التوكل على الله سبحانه وتعالى

(1) ابن كثير، مرجع سابق.

(2) بابللي، محمود محمد (1416هـ) الهجرة في الإسلام. ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الخاني، الرياض.صـ25 – 26 .

(3) المؤلف: اختيار وكالة شؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (1419هـ) خطب مختارة، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، صـ143.

- يجب أن يكون الآباء على قدر من الفطنة والذكاء في متابعتهم لأبنائهم وتوجيههم عند اختيار الأصدقاء ممن يتوسم فيهم الخير والصلاح، مع مراعاة عدم إلغاء شخصياتهم عند اختيار الأصدقاء لهم، ولكن عن طريق الحوار الهادف وتوضيح مثالب أصدقاء السوء.
- يجب على الآباء والمربين إعداد الأجيال القادمة على تحمل المسئولية، فمن ذلك إسناد بعض الأمور إليهم مثل إعداد الرحلات والتخطيط لها بالكامل، و أن يجعل هذا الأمر بالتناوب بين الأبناء، حتى يحسنوا التصرف، فقد بدأ يلاحظ على بعض أبناء المسلمين هشاشتهم وعدم القدرة على الاعتماد عليهم.
- تنمية الإحساس القوي بالمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك مما يجعل الأبناء يعون قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم، فلا يهتمون إلا بمعالي الأمور، فقد أصبح ملاحظ على بعض أبناء المسلمين انصباب اهتمامهم على سفاسف الأمور التي تعود عليهم بالوبال في دنياهم وآخرتهم.
- تدريب الأبناء منذ نعومة أظفارهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم من دقائق الأمور مثل ذكر الله على كل حال وحمده وما يقال عند دخول المنزل، وعند دخول الخلاء، وعند تشميت العاطس، وعند حدوث مصيبة، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الوالدين والأخوة الكبار في البيت أن يكونوا قدوة حسنة أمام الصغار.
- أن ينظم الآباء زيارات للدور والمؤسسات الاجتماعية، وأن يصطحبوا معهم أبناءهم فإنهم بذلك يفتحون آفاق تناقل وتلاقح وتفاعل لخبرات المجتمع عندما تنقل إليهم من أفواه من جربوها وخبروا المواقف، فهم بذلك يبنون أجيالاً قادرة على معرفة وتحديد أهدافها بدقة وموضوعية، ومعالجة الأخطاء التي وقع فيها السابقون، ولا يكونون لقمة سائغة لمن يريد هدم كيان المجتمع الإسلامي، ولا يكون ذلك إلا بهدم أبنائه، وها نحن الآن نرى بعض أبناء المسلمين لم يبق له من معالم إسلامه إلا قول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فقد تغيرت أفكاره وتوجهاته وأهدافه، فلا يُرى إلا وهو يلهث وراء تحصيل ملذات الدنيا متناسياً همه الأكبر ووظيفت ه

الأساسية التي خلق من أجلها، فهذا ما خاف منه رسولنا الكريم ﷺ على أبناء أمته أن يفتتنوا بزهرة الحياة الدنيا.

- يجب تربية أبنائنا على الإيمان بالله و التوكل التام عليه والأخذ بالأسباب، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ (الطلاق:3)، فإن ذلك يخرجهم من عبودية الشيطان في إتباع أهوائهم ومن السعي وراء شهوات الدنيا، قال ﷺ: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً)(1) ، إننا نرى بأعيننا ماذا حل بأبنائنا ومجتمعنا عندما أغفلوا هذا الجانب الكبير، أصبح الكثير من أبنائنا يعتمدون على الوسائط البشرية التي لا تنفع وإنما تقدح في إيمانهم.
- تنبيه الأبناء على حُسن الظن بالله وحسن التوكل عليه، وتذكيره دائماً بحديث رسول الله ﷺ :(أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إليَ شبراً تقربت إليه ذراعاً)[2].
- إن الناظر في أمور المجتمع المسلم يرى أنه أحد أهم أسباب غفلة بعض شبابنا وفتياتنا –هداهم الله – عدم حصافتهم وانتباهم إلى ما يحيكه أعداء الإسلام لهم فتراهم خلف كل ناعق إلى التغيير والتجديد، حتى وإن كان تغييراً في أركان الإسلام وقواعد الدين، فجدير بأبناء الإسلام وفتياته أن يتحصنوا بالتوكل على الله أولاً ثم بالعلم النافع الذي يجعلهم حائط صد لكل من يريد سوءاً بلإسلام وأبنائه.
- تعويد الأبناء على حفظ عوراتهم منذ نعومة أظفارهم والبعد عن الملابس التي تعودهم على كشف عوراتهم فقد بدأ يلاحظ على بعض أبناء المسلمين هداهم الله

([1]) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (د ت) سنن ابن ماجة. كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، حديث رقم 4164، ج2، ص 1394، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.

وقد أخرجه الترمذي في الزهد حديث رقم 2344، ج4، وقال عنه حسن صحيح، وأحمد في ج1، ص 30–52، حديث رقم 205، 370.

([2]) النووي، مرجع سابق، صـــ 14، جـــ17

انسياقهم وراء كل ما هو جديد ودخيل على مجتمعنا المسلم من أزياء تكشف عوراتهم ولا تمثل قيمنا الإسلامية.

التوصيات والمقترحات

من الأحاديث الواردة في كتاب الزهد الرقائق في الزهد

من خلال المبادئ الواردة في فصول هذا البحث يتضح لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية تزخر بالكثير من المبادئ التي يستفيد منها المسلم في جميع مناشط حياته، لذا ينبغي على العاملين في مجال التربية والتعليم وفي مجال البحث العلمي إلى الاستفادة من هذه الآيات والأحاديث في استخراج المبادئ المعينة في مجال التربية الإسلامية، بقصد التوصل إلى التوصيات والمقترحات المعينة في هذا المجال ومن ذلك هذه التوصيات والمقترحات في هذا البحث وهي:

- الاستعارة بالأمثلة والتشبيهات عند تعليم الأبناء.
- تعويد الأبناء على حسن التدبير وذلك بإسناد بعض الأعمال إليهم ومراقبتهم في تدبيرها.
- أن يدرب الأبناء على التقلل والانغماس في الملذات وليس المراد من ذلك الحرمان وإنما يكون بتوجيه وإرشاد.
- عدم تلبية جميع متطلبات الأبناء وتعويدهم على السيطرة على رغباتهم.
- تنمية القناعة بما رزقهم الله وعدم الطمع في الاستزادة من الماديات.
- الاهتمام باختيار أصدقاء لأبنائنا ممن يتوسم فيهم الخير والصلاح.
- ربط كل تصرف من تصرفات الأبناء برضاء الله سبحانه وتعالى حتى يتعلموا مراقبة الله في جميع أعمالهم.
- الاهتمام بترتيب أوقات الأبناء من نوم وصحوة حتى يتعدوا على أعمارها فيما ينفعهم.
- اصطحاب الأبناء أثناء تأدية العبادات فإن تعويدهم عليها في الصغر يورثهم حبها وسهولة عملها في الكبر.
- تزويد المنزل بمكتبة تحتوي قصصاً شيقة للأطفال وكذلك تعويدهم بأن يقرأ أحد الوالدين لهم قصة قبل النوم وإشراكهم في استخراج الاستفادة من هذه القصص.
- تعليم الأبناء على كيفية الدعاء من خلال ممارسته إمامهم.

- التركيز على جانب التعلق بالله وإن كل ما أصابهم قد قدره الله عليهم.
- تعويد الناشئة على الصبر والمثابرة لتحقيق رغباتهم.
- مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء وعدم مطالبتهم بأن يكونوا على وتيرة واحدة.
- تعويد الأبناء على التفكير في ملكوت الله أثناء اصطحابهم لنزهة فإن أفق تفكيرهم تكون واسعة.
- تعويد الأبناء على التربية الاجتماعية لأن وتيرة الحياة في هذه الأيام تغيرت وأصبحت تجنح إلى الحياة المدنية كثيراً مما قلل من الاجتماعات الإنسانية.
- تربية الأبناء على البعد عن الذنوب والمعاصي وتخويفهم من الوقوع فيها.
- يجعل للأبناء جدول حائطي تحصى فيه أعمال الأبناء في نهاية كل أسبوع ويكرم فيه من حاز على أعمال صالحة على حسب حالة العائلة المادية.
- تعويد الأبناء على الاعتراف بأخطائهم والرجوع عنها وليس التشدد في الآراء عن طريق الحوارات الأسرية مما يجعلها تتسم بالمرونة.
- توجيه الآباء والأمهات وكلمن يلي العملية التربوية بعدم الدعاء على النفس أو الأهل أو المال.
- ينبغي التحذير من الأماكن التي وقع فيها العذاب وعدم جعلها أماكن ترتاد للسياحة.
- غرس الصدق في الأقوال والأفعال عند الناشئة.
- تخويف الأبناء من عاقبة المراءاة في الأفعال والأقوال.
- أن يربى الأبناء على التواضع لمن هو أكبر منه سناً وأيضاً يتواضع للحق ويقبله حتى لو كان من عدوه.
- ينبغي على الآباء رفع ثقافة العلم المهني لدى الأبناء.
- أن يتمثل الآباء والأمهات شكراً لله على جميع أحوالهم حتى يكتسب الأبناء هذه الصفة الكريمة.
- تعويد الأبناء على نسبة الفضل إلى الله سبحانه وتعالى في جميع أمورهم.

- لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به حال أولها وذلك بالتسليم التام لأوامر الله تعالى.
- إشراك الأبناء في توزيع الصدقات والزكوات.
- إنشاء صندوق في المنزل يسمى صندوق الصدقات وعلى كل من يخطئ ويذنب ذنباً أن يضع فيه قدراً من المال ثم بعد ذلك تجمع ويتصدق بها.
- تصحيح فلتات ألسن الأطفال عن طريق توخي آداب الكلام أثناء محادثتهم، وقراءة الكتب المفيدة لتقويم ألسنتهم.
- على الآباء الحرص على أن يحصل أبناءهم على أفضل الفرص التعليمية المتاحة.
- عمل دورات تدريبية للمعلمين لتحسين أداءهم الوظيفي وتجديد معارفهم.
- أن يعود الأبناء على إخراج زكاة العلم وذلك بنشره.
- دعم الأبناء مادياً ومعنوياً عند مشاركتهم في الأعمال الخيرية.
- توزيع السواك أو الكتب الدينية أو المنشورات الإسلامية.
- تسجيل الأبناء بحلقات تحفيظ القرآن الكريم.
- الاهتمام بهندام الأطفال عند الذهاب للمسجد.
- عدم التردد في إيقاظ الأبناء لصلاة الفجر فإن ذلك من تعويد الأبناء على المحافظة على صلاة الفجر طوال حياتهم.
- يجب اختيار المنزل بالقرب من المسجد وذلك مظنة حفظ الأبناء عند ذهابهم إليه في ليل أو نهار.
- تنمية ملكة النقد البناء عند الأبناء.
- الاهتمام بإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- يجب أن يعين الآباء أبناءهم على القيام بالنوافل ويشجعونهم عليها.
- تعريف الأبناء بالملائكة وأعمالهم ووجوب الإيمان بهم وإنزالهم منزلتهم.
- تعريف الأبناء بالجن وعدم تخويفهم منهم وعدم رفعهم فوق منزلتهم والإيمان بهم.

- تحصين الأبناء بالأذكار والأوراد اليومية.
- غرس التواضع في نفوس الأبناء وتذكريهم ببداية خلقهم ونهايتهم.
- زيارات الدور والمؤسسات الاجتماعية.
- تحفيظ الأبناء بعض الأذكار اليومية.
- عمل موسوعة للمبادئ التربوية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- تخصيص يوم الخميس لاجتماع المعلمين والمربين المتقاعدين مع الطلبة في ورشة حوار ليستفيد الناشئة من خبرات السابقين سواء في الحياة العلمية أو العملية.
- عقد دورات تدريبية تثقيفية للمقبلات على مرحلة الأمومة في تربية الأجيال القادمة.

الخاتمـــة

الحمد لله المعبود الذي بأمره تقوم السموات والأرض وتمور والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

فمن خلال صفحات البحث السابق يتبين أنه مهما توسعنا في الاستنبا ط والتنظير واستخلاص الآراء التربوية من الآيات والأحاديث التي هي المعين المتدفق بكل خير للبشرية، فإن الميدان الخصب لهذه الآراء التربوية هم أبناء الإسلام الذين تكالبت عليهم الأمم تريد هدم دينهم. وهدم أخلاقهم أولاً التي تعتبر البريد الأول للإسلام.

إن المقصود من وراء هذه الدراسة والكثير من الدراسات التربوية هو بناء الفرد المسلم القادر على القيام بالمهام المنوطة به دينياً على أكمل وجه، ومهامه التي فيها قوام معيشته في الحياة الدنيا، فإن التربية الروحية تحتاج إلى وقت طويل في بنائها وإعدادها الإعداد السليم، فهذا نبي الأمة مكث بمكة ثلاثة عشر عاماً لترسيخ الدعوة الإسلامية وبناء الروح الإسلامية، وعشرة سنين لبناء الدولة في المدينة المنورة، فإننا من خلال ما سبق نستنتج إلى أن بناء الفرد روحياً لا يكون إلا إذا كان الوالدان والمعلمون قدوة حسنة في أنفسهم للناشئة بأن:

يكونوا متقللين من التوسع في ملذات الدنيا وبهرجها، فإنهم بتقللهم مع استحضار ما عند الله وبذل ما في وسعه يوسعون على إخوانهم من المسلمين الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم قدوة لهؤلاء الأبناء في تقللهم من الملبس والمأكل ومن الألعاب، ومحاولة توجيههم إلى إهداء بعض الألعاب أو الملابس إلى الأيتام أو الأطفال الذين يكونون ذوي دخل محدود.

ويجب أن يعود الآباء أبناءهم على تخصيص بعض الأوقات للعبادة واصطحابهم في أوقات العبادة المختلفة، وأن لا يجعل الآباء بيوتهم مهجورة من ذكر الله، بل لابد أن يقيموا فيها بعض العبادات من السنن الرواتب و قيام الليل وقراءة القرآن الكريم، وأن يجعل هنالك ملصقات ببعض الأدعية كالدعاء عند دخول المنزل، والخلاء، ودعاء

الملبس الجديد بجانب خزانة الملابس، ودعاء ركوب الدابة في السيارة، وكذلك دعاء السفر، فهم بذلك يطبقون الأحاديث النبوية في حياتهم العملية.

كما أن في تحلي المربي بالصبر وتعويد الأبناء عليه إذ أصبحت العجلة سمة من سمات هذا العصر فإن في تربية أبنائنا على هذا المبدأ عودة بهم إلى حياض التربية النبوية التي كان الصبر هو المِعول في هدم كل ما يقف في طريقه ويسعى إلى تحقيقه.

بل لابد من غرس عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين والعوالم الغيبية، وأن يتزود بالعلم النافع فيها.

وأن يتسلح المربون بالعلم النافع الذي يجعلهم قادرين على الرد على أسئلة الناشئة بما يتناسب مع حالهم وعدم إهمال أسئلتهم.

ومن المفيد أن يجعل الوالدان وقتاً قبل النوم مخصصاً لتدريب الأبناء على حفظ بعض السور من القرآن الكريم، وكذلك القصص النبوي، وعلى محاسبة النفس، حتى يتعود الأبناء محاسبة أنفسهم منذ نعومة أظفارهم، ولا يعتبرونه من التشدد في الدين عندما يبلغون.

ويجب أن يضع الوالدان عقوبات تأديبية للألفاظ النابية التي يتلفظ بها الابن فينشأ عفيف اللسان بعيداً عن السب واللعن والشتم وأن يتمثل الآباء عفاف ألسنتهم أمام أبنائهم من الدعاء عليهم إذا أخطؤوا ويعاملون أبناءهم بما يحبون أن يعاملوا به إذا هم أخطؤوا وأن لا تأخذهم بهم شفقه ورحمة إن هم تعدوا حدود الله، ولم يلتزموا بالآداب الشرعية.

أن يربى الأبناء على التواضع لوالديهم ومعلميهم وإلى أقرانهم وإخوانهم، ويربون على التواضع للحق، وأن لا يتكبروا على العمل، أو الذين يشتغلون بالأعمال اليدوية.

فإن تطبيق الوالدين لشكر الله عملياً أمام الأبناء له أثر كبير في سلوكهم ورضاهم بما يسر الله لهم، وعدم تذمرهم من النعم مهما صغرت، والنظر إليها بعين التعظيم.

أن يخصص الآباء جزءاً من المال للصدقة الشهرية، ويجعلوا الأبناء هم الذين يتولون تدبيرها وتوزيعها، فهم بذلك يربونهم على الصدقة ويربونهم أيضاً على حسن الإدارة.

أن يراعي المربون اللغة التي يخاطبون بها الناشئة فإنه م يأخذون لغتهم ويكتسبون العادات الحسنة والسيئة بالمحاكاة.

يجب تزويد الأبناء بالعلم الشرعي، فلقد انتشرت بين أبناء المسلمين كثير من الأخطاء والمنزلقات أو المعاملات الخاطئة بسبب كثرة المتغيرات وما يطرأ على المجتمع من تغيير وتبديل.

تعتبر المساجد هي المدرسة الأ ولى في الإسلام التي يجب الاهتمام بها عمارةً حسية ومعنوية حتى تعود مكانة المسجد التي تبوأها منذ القدم، مع الاهتمام بإلحاق مكتبة يمكن الاستفادة منها، وأن يجعل الاهتمام بنظافته من اهتمامات أبناء الحي التي تكون بالتناوب.

يجب تنمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي ع ن المنكر عند الناشئة، مع تعليمهم القواعد الأساسية للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وإنماء ملكة الشجاعة الأدبية لديهم.

مراعاة رفع المستوى الثقافي للأبناء وإعطائهم معلومات صحيحة عن العوالم الغيبية وإنزالها منزلتها بدون إفراط أو تفريط، وغرس مبدأ الرضا بما قسم ه الله للإنسان من رزق وما قسمه لخلقه فلا يصيبه اللهاث وراء الحملات المجنونة والتي المقصود منها تغيير خلق الله.

تنمية إحساس الناشئة بالمسئولية أمام الله، فإن ذلك يربي فيهم حسن إدارتهم لجميع شؤونهم.

المصـــادر والمراجـــع

أولاً: المصادر

1 - القرآن الكريم.

2 - ابن تيمية الحرَّاني: تقي الدين أحمد (1418هـ)، مجموعة الفتاوى، المجلد العاشر، مكتبة العبيكان، الرياض.

3 - ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (1399هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعه بحث تمهيدي عنوانه علامات ضوئية على طريق الدعاة د/محمد جميل، وزارة المعارف، المكتبات المدرسية، مكتبة المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.

4 - ابن رجب: زين الدين (1399هـ) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة حدائق القبة، 74 ش مصر والسودان، حدائق القبة.

5 - ابن قَّيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (د، ت) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (د، ط)، (د، ن).

6 - ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (د، ت)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، عمان، الأردن.

7 - ابن قَّيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر (1375هـ) مدارج السا لكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

8 - ابن قَّيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر (1406هـ)، الفوائد، ط7، دار النفائس، بيروت.

9 - ابن قَّيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر (1414هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت.

10 - ابن قَّيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (1428هـ)، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

11 -ابن كثير: أبو الفداء الحافظ (1425هـ) تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

12 -ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (د، ت)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

13 -ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1997م) لسان العرب، دار صادر، بيروت.

14 -الأزدي: سليمان بن الأشعث السجستاني (د، ت) سنن أبي داود. راجعه محمد محيي الدين عبد الحميد، ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

15 -الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن الله (1405هـ) حلية الأولياء، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت.

16 -الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب (1423هـ) مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي دار القلم، دمشق.

17 -البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1424هـ)، صحيح البخاري، مراجعة محمد علي قطب، هشام بخاري، المكتبة العصرية، بيروت.

18 -البزار، أبو بكر أحمد بن عمر (1409هـ)، مسند البزار (البحر الزخار)، ط1، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

19 -البستي، أبو حاتم محمد ابن حبان بن أحمد التميمي (1414هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط2، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت.

20 -البيهقي، أبو بكر أحمد ابن الحسين ابن علي (1414هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

21 -الترمذي: أبو عيسى بن سورة بن موسى الضحاك (د، ت)، سنن الترمذي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ونسخة أخرى تحقيق أحمد محمد شاكر، ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

22 -الجرجاني: علي بن محمد بن علي (1423هـ) التصريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، تنقيح إبراهيم الأبياري.

23 -الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد (1399هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
24 -حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد (1417هـ) مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ونسخة أخرى (د، ت)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر.
25 -الحنبلي: أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (1419هـ) الآداب الشرعية والمنح المرعية. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عمر الخيام، مؤسسة الرسالة، بيروت.
26 -الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1415هـ)، مختار الصحاح، المحقق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت.
27 -زكريا: أبو الحسين أحمد بن فارس (1399هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت.
28 -السفاريني: محمد بن أحمد (د ت)، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
29 -الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (1424هـ)، ديوان الإمام الشافعي، ط1، جمع وتعليق د/أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، مصر.
30 -الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (1404هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل.
31 -عبد البر: أبو عمر يوسف (1427هـ) جامع بيان العلم وفضله، ط7، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.
32 -العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (د ت)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
33 -الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (1403هـ)، ميزان العمل، دار الكتاب العربي، بيروت.
34 -الغزالي: محمد بن محمد (د ت)، إحياء علوم الدين، الفيصلية، مكة المكرمة.

35 -الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (1403هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.
36 -القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (1425هـ)، الرسالة ا لقشيرية، تحقيق أحمد عناية ، محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت.
37 -الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني (1419هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
38 -الكناني: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد الله بن جماعة (د ت)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت.
39 -الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (1398هـ) أدب الدنيا والدين، ط4، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.
40 -المروزي: عبد الله بن المبارك (د.ت) كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
41 -المقدسي: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة (1425هـ)، مختصر منهاج القاصدين: ، تحقيق محسن عبد الغني البلتاجي، مؤسسة أم القرى، مصر.
42 -النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (1411هـ)، سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، تحقيق د ./ عبد الغفار سليمان البنداري وسيد حسن، ط1، دار الكتب العلمية بيروت.
43 -النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (د. ت) شرح صحيح مسلم، راجعه خليل الميس، دار القلم، بيروت.
44 -النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (1412هـ)، صحيح مسلم، راجعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

ثانياً: المراجع

1 - أ.ي: ونسنك (1963م) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل، ليدن.

2 - ابن حميد: صالح بن عبد الله. ملوح، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (1418هـ)، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، المملكة العربية السعودية.

3 - أبو زيد: بكر بن عبد الله (1426هـ) حلية طالب العلم، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

4 - اختيار وكالة شؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (1419هـ) خطب مختارة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

5 - الأشقر: عمر سليمان (1410هـ) الرسل والرسلات، ط4، مكتبة الفلاح، دار النفائس، الكويت.

6 - الأشقر: عمر سليمان (1415هـ) عالم الجن والشياطين، ط 4، دار النفائس، عمان الأردن.

7 - الأشقر: عمر سليمان (1419هـ) عالم الملائكة الأبرار، ط5، مكتبة الفلاح، الكويت.

8 - بابللي: محمود محمد (1416هـ) الهجرة في الإسلام، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الخاني، الرياض.

9 - الحقيل: سليمان بن عبد الرحمن (1412هـ)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الناشر المؤلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

10 - الخضيري: إبراهيم بن صالح (1421هـ)، أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، دار الفضيلة، الرياض.

11 -خياط، محمد جميل (1407هـ)، النظرية التربوية الإسلامية في الإسلام دراسة تحليلية، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.
12 -شعبان: زكي الدين (1408هـ) أصول الفقة الإسلامي، مؤسسة علي الصباح، الكويت.
13 -عبد الباقي: محمد فؤاد (1422هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.
14 -عبد المنعم: محمود عبد الرحمن (د ت) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة.
15 -عُبيدات: ذوقان وآخرون (2000م) البحث العلمي مفهومة، أدواته، أساليبه، دار أسامة.
16 -العثيمين: محمد بن صالح (1420هـ) كتاب العلم، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط1، دار الثُريا، الرياض.
17 -عراقي: فيصل بن محمد (1416هـ) عالم الجن. ط2، الناشر المؤلف، المركز الإعلامي، مكة المكرمة.
18 -العسلي: بسام (1412هـ) مشاهير قادة الإسلام، سعد بن أبي وقاص، دار النفائس، بيروت.
19 -العقل: ناصر بن عبد الكريم (1419هـ)، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
20 -فودة: حلمي محمد، عبد الله، عبد الرحمن صالح (1408هـ) المرشد في كتاب البحوث التربوية،مكتبة المنارة، ط5، مكة المكرمة.
21 -القصير: عبد الله بن صالح (1418هـ)، اللمع من خطب الجمع، دار ابن خزيمة، الرياض.
22 -قطب: سيد (1400هـ)، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت.

23 –الكيلاني: وحيد سليمان (1419هـ)، المعجم المفسر لألفاظ القرآن العظيم، ط 1، دار الخريجي، الرياض.
24 –الميداني: عبد الرحمن حسن بن حبنكة (1407هـ) الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق.
25 –النحلاوي: عبد الرحمن (1417هـ) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط2، دار الفكر، دمشق.
26 –النحلاوي، عبد الرحمن (1402هـ)، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتبة الإسلامية، بيروت.
27 –نواره: عبد الله (1426هـ)، الصحيح من الزهد والرقائق، ط1، دار الروضة، مصر.

البحوث والمجلات:

1 – بابور، صالح محمود بن عبد الرحمن (1416هـ)، مكانة الزهد في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، إشراف الدكتور عبد اللطيف بالطو.
2 – البشري: عائش عطية (1420هـ) خلق التواضع في التربية الإسلامية، إشراف د/محمود عطا محمد علي مسيل الباز، وهذا البحث مقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية بقسم التربية الإسلامية والمقارنة كلية التربية جامعة أم القرى، بحث غير منشور.
3 – الحارثي: عائد بن محمد حمدان (1423هـ) المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البر والصلة والأدب. إشراف د/ عثمان أمين نوري وهذا البحث مقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية بقسم التربية الإسلامية والمقارنة جامعة أم القرى، بحث غير منشور.
4 – العتيبي: عائشة بنت صالح بن عبد العزيز (1419–1420هـ): مكانة الصبر في التربية الإرادية من منظور إسلامي إشراف د/ حامد سالم الحربي، وهذا البحث

مقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة كلية التربية جامعة أم القرى، بحث غير منشور.

5 - مجلة البحوث الإسلامية (1408هـ)، العدد 21، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، دار أولي النهى، الرياض.